أُسُسُ الإجابةِ عن أسئلةِ الصِّغارِ

عَنِ اللهِ وَالغَيبِ

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، له من الحمد أسماه، ومن الشكر منتهاه، جعل الأولاد عند أهليهم وديعة، وجعل القيام عليهم واجبًا علينا وشريعة؛ ليعلم الله من يتقيه فيهم فَحَقَّ علينا أن نطيعه. الحمد لله المنعم المتفضل بالإحسان، جعل المال والبنين زينة الحياة، وعملًا صالحًا باقيا بعد الوفاة.

والصلاة والسلام على نبينا محمدا عبد الله ورسوله ومصطفاه، أكرم والد درجت على الأرض خُطَاه، وخير أب فاضت بالمشاعر حناياه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الأبناء وديعة:

الأبناء نعمة من الله وهبها الله لنا، لابد من الحرص عليهم، فقد أوصانا ربنا العظيم الخالق الكريم بهم في كتابه فقال لنا: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ}[1] وإذا كان الله يوصينا في أولادنا فمعنى ذلك أن هذه **مسؤولية** ملقاة على عاتق الآباء تجاه الأبناء؛ لذا لابد أن نعرف حول أي شيء تدور هذه الوصية. وهذا ليس ترفًا معرفيًا لكنه مسؤولية سنحاسب عليها. وبالنظر إلى وصية الله: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ}[2] سنفهم أن الأبناء بالنسبة إلينا **ودائع**[3]، وديعة الله-عزّ وجلّ-أودعنا إياها، وهذه **الوديعة** المطلوب المحافظة عليها.

الأسباب التي تؤدي للمحافظة على الوديعة.

والمحافظة عليها تستلزم أمورًا ثلاثة:

أولًا: معرفة هذه الوديعة؛ ومعرفة ما **يصلحها وما يفسدها**.

ثانيًا: المعرفة التفصيلية **للأسباب** التي توصل إلى الإفساد، **والأسباب** التي توصل إلى الإصلاح.

ثالثًا: **المحافظة** على هذه الوديعة؛ بأخذ كل سبب نستطيع الأخذ به.

---

(1) [سورة النساء: 11]

(2) [سورة النساء: 11]

(3) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ} أي: أولادكم-يا معشر الوالِدِين-عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم، لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية، فتعلموهم وتؤدبوهم وتكفوهم عن المفاسد، وتأمروهم بطاعة الله وملازمة التقوى على الدوام كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} فالأولاد عند والديهم موصى بهم، فإما أن يقوموا بتلك الوصية، وإما أن يضيعوها فيستحقوا بذلك الوعيد والعقاب.
وهذا مما يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدين، حيث أوصى الوالدين مع كمال شفقتهم، عليهم.

قال تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ}[1]، وكما ذكرنا فإن الأبناء وديعة عندنا، أوصانا الله بهم، فلا **تظن أن الأولاد ملكك فهذا أول الفساد**؛ ومثل أي وديعة تودع لنا يجب معاملتها بأمانة، ثم نردها إلى أصحابها، ولابد أن نردها وهي **تامة كاملة سليمة**. وكذلك الأبناء فهم وديعة عندنا، ليسوا ملكنا نعبث بهم كما نشاء إنما هم وديعة عندنا **سنحاسب عليهم**، ولابد أن نعرف كيف نتعامل معهم.

إن التعامل مع هذه الوديعة كالتعامل مع كأي وديعة أخرى؛ فعندما يودع أحدٌ عندك سمنًا، مثلًا ليس كما يودع عندك ذهبًا، أو ليس كما يودع عندك صكًا لأرض مثلا أو صكًا لبيت. فهذه كلها تشترك في **كونها وديعة** وتختلف في ماهيتها وأسباب صلاحها وفسادها، وكما أن وديعة السمن ليست مثل وديعة الذهب وليست مثل صك البيت، والتعامل مع وديعة السمن غير التعامل مع وديعة الذهب غير التعامل مع وديعة صك البيت، فالأطفال وديعة، أودعهم الله عندنا، يعني أننا لابد أن نردهم سالمين في أحسن حال، ولابد أن نعرف هذه الوديعة **ما هي وما حقيقتها؟** ونعرف عن هذه الوديعة أيضًا ما **أسباب صلاحها وما أسباب فسادها**، فنأخذ أسباب الصلاح وأسباب منع فسادها. **وكل طريقة توصلنا لإصلاحها** سنأخذها، **وكل طريقة توصلنا لإفسادها** سنبتعد عنها.

ما هي حقيقة هذه الوديعة:

هذه الوديعة التي أودعت للآباء والأمهات، هي ذاك **الإنسان** الذي كرمه الله وجعل له من الأدوات التي يصل بها إلى الصلاح ويمتنع عن الفساد، الإنسان الذي فيه الروح، الذي فيه النفس، التي قد أخبر الله-سبحانه وتعالى-عنها: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}[2] إذًا، هذه الوديعة وماهيتها **إنسان وليست آلة**...إنسان يملك ما يملكه من:

- الفطرة السوية.
- والمشاعر.
- والطباع الحسنة والسيئة.

(1) [سورة النساء: 11]
(2) [سورة الشمس: 7: 10]

وسنبدأ بهذه المشكلة، وهي عدم معرفتنا لهذا الذي نربيه كيف كانت حالته لما وهبنا الله إياه؟ بمعنى أننا غالبًا ننظر لهؤلاء الصغار أنهم جاهلون لا يفهمون ولا يستجيبون ولا يفقهون!! بَلْ كأنهم كانوا لا شيء، ومع الأيام والخبرة يحصل لهم الكسب ثم يصبحون شيئًا. ومن هنا يبدأ الخطأ! فإن هؤلاء الذين وهبهم الله لنا واستودعهم عندنا قد وهبهم الله-عزّ وجلّ-وأعطاهم من العطايا الكثير، وفيما يلي نوضح شيئا عن تلك العطايا:

- **الفطرة السوية:**

وهي الاستعداد للتعاليم الإلهية والعمل المشروع، فهؤلاء الأطفال مستعدّون ابتداء من معرفة الله-عزّ وجلّ-حتى الوصول إلى تعظيمه وتأليهه وعبادته، فقد أتوا ومادتهم مستعدة لذلك. فهذه الوديعة فيها الفطرة السوية التي يمكن أن تختصر بثلاث كلمات موجودة فيها دون أن يتلقنها الطفل من أي أحد، فالفطرة السوية فيها:

- مسلَّمات.
- مستحسنات
- مستقبحات.

فعندما نظن أن هذا الصغير ليس معه شيء نكون قد بدأنا بالخطأ؛ لأن هذا الطفل أتى وهو يملك الفطرة السوية، ومن أجل أن تختبر هذا الأمر سنعرض بعض الأمثلة على ذلك، فمن أهم وأعظم **المسلّمات** الموجودة في نفس كل إنسان من الطفولة حتى يصبح كهلًا أن **كل فعل لابد له من فاعل**، وهذا أمر مسلَّم به، ولا يمكن أن يتصور أن هناك أفعالًا لا فاعل لها، فالصغير الذي لم يكمل سنة من عمره أو حتى أشهر، إذا ضربه أحد من خلفه و حاولنا أقناعه أنه لم يضربه أحد، فإنه لا يمكن أن يقتنع-بسبب علمه أن وجود الضرب يلزم منه وجود ضارب، فهو أمر مسلّم في داخله-فهذه المسلّمة التي هي جزء من الفطرة سنستفيد منها في المواقف، ونقول له: **هذا الفعل وفاعله الله**.

وتبدأ الحياة كلها تعتمد على هذه المسلَّمات، فلو حاولنا النظر لموقف الضرب هذا من زوايا أخرى،اضرب طفلًا في السنة الأولى أو الثانية، وأقنعه أنه لا ضارب، بالطبع أنه لن يقتنع ولو كنت بجانبه وأخوه الصغير بعيد عنه أقنعه أن أخاه الصغير هو الذي ضربه ولست أنت، لن يقتنع، لماذا؟ لأنه هو يستطيع أن يفرق أن اليد التي ضربته ليست يد الصغير إنّما يد الكبير فماذا يفهم؟ أن **صفة الفعل تدلّ على صفة الفاعل**. ثم أول شيء سيسأله: **لماذا ضربتِني؟** لنتصور هذه النقاط الثلاث فقط، **كل فعل حولنا لابد أن نجعله مرتبطًا بفاعله** هذا مسلّم عنده. وأنتم ترون أن الله-عزّ وجلّ-قد أنعم علينا بعظيم أفعاله التي تدلنا على عظمته، كل فعل حوله منذ أن يفتح عينيه ونحن نقول له: هذا الفعل فاعله الله.

الأمر الثاني: كل فعل لابد أن يدل على فاعله، فنحن وهو نعرف الفاعل ونتناقش في الفاعل وفي صفة الفاعل بطريق الفعل، فهذه الجبال العظيمة تدل على ماذا؟ من فعلها؟ من أنشأها من أوجدها؟ هذا الفعل لابد من أن يدل على فاعل، والفاعل صفته ظاهرة في الفعل.

السؤال المهم لماذا هذا الفعل؟ لابد من أن تكون الإجابة واضحة، فالله يريد منا أن نعرفه، وهذه المعرفة يستطيع الإنسان أن يدركها من خلال حواسه، فالمقصود **لما أراد الله**–عزّ وجلّ–**وهو غيب** لا يستطيع الإنسان الضعيف أن يدركه ولا يستطيع رؤيته في الدنيا ولا يحيط به–سبحانه وتعالى–أحد من خلقه، جعل دلالة عليه وعلامة أفعاله.

إن هذا الصغير عندما ينظر إلى أفلام الكرتون أو أفلام فيها تحقيق ومحقِّقون ثم يرى أن المحقق الذكي هو الذي إذا رأى آثار شيء استدل من الآثار على الفاعل، فإذًا هذا معناه أن الناس كلهم يجمعون في قدرتهم على **معرفة الموصوف من خلال الصفة، يرون الأفعال وآثار الأفعال فيعرفون صفات الفاعل**، فيعرفون الفاعل، وهذا أمر يوصف به الأذكياء، وهذا هو **حقيقة الذكاء**.

أما البلادة فهي أن تكون هناك أفعالًا كثيرة تدل على كمال الصفات والناس ينظرون إليها ولا يُثار في ذهنهم مَنْ فعلها وكيف تدل على كماله، **البلادة** أن تكون هناك أفعال لا قيمة لها أو لا تقارن بالفعل الأعظم، **فينبهر الإنسان بالأدنى ويترك الأعظم**، نضرب مثالًا على ذلك وهو: (الطائرة والطير) فالطائرة تبهر الناس، والطير لا يبهرهم وهذا دليل على البلادة لأننا عندما ننظر إلى الطير وضعفه وعدم وجود الأدوات الضخمة الموجودة في الطائرة ثم ننظر إلى الطيور قابضة أو باسطة {صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ}[1] كيف يحدث هذا المنظر في السماء؟!! من يمسكها؟!! فمثل هذه الأفعال عندما لا تُلفت الأنظار يكون الإنسان قد وقع في بلادة.

والآن سنعود مرة أخرى لذلك الصغير الذي هو بالنسبة لنا وديعة ولابد أن نعرف ما صفة هذه الوديعة وقد عرفنا أن هذه الوديعة فيها فطرة سوية، ومن أهم معالم الفطرة السوية، المسلّمات. كما أن الفطرة السوية أيضًا فيها **مستحسنات** وفيها **مستقبحات**، ومن الأمثلة على ذلك، أنه **يحب العدل ويكره الظلم**، كل هذا موجود في الصغير، ويحتاج أن نلاحظه، فيراه الإنسان جلّيا واضحًا.

- **الطباع:**

(1) [سورة الملك: 19]

هذه الوديعة أيضًا، فيها من الطباع الإنسانية التي يشترك فيها الناس كلهم، فمن الطباع الإنسانية مثلًا: العجلة والبخل، هذه طباع إنسانية موجودة في الإنسان. وفي هذه الوديعة أيضًا، الطباع التي تخصه كشخص مختلف عن غيره؛ معنى ذلك أن هذه الوديعة لا يمكن التعامل معها إلا بعد **ملاحظتها جيدًا**. أمّا إذا لم يُلاحظ ما فيهم من عطايا ولم يلاحظ ما فيهم من أشياء تميزهم، طباع حسنة أو طباع سيئة فهذا معناه أننا نفقد **القدرة على المحافظة على الوديعة**.

علينا أن نعرف أن العبد هذا الذي خُلق وكُلف قد أعطاه الله الأداة التي بها يُكلف، وهي الفطرة السويّة، هذه الفطرة السوية هي **عقل الإدراك**؛ والمفترض أن نساعده في الوصول إلى **عقل الرشد**، وهذا لا يمنع أن عنده طباعًا، وهذه الطباع عامة وخاصة؛ عامة يشترك فيها الناس جميعًا (جهول، عجول، بخيل...) هذه كلها طباع عامة، وطباع خاصة تخصّه، ممكن أن يكون عنيدًا وممكن أن يكون كثير التقلب في تفكيره، فيكون هذا طبعه الذي يخصه. والمطلوب من المربي أن يعرف هذه الوديعة ما حالتها من جهة الطباع، أما من جهة الفطرة فالناس كلهم مشتركون في الفطرة، ومعالمها الثلاثة الأساسية: (المسلمات والمستحسنات والمستقبحات).

ما الصلاح والفساد في حق هذه الوديعة؟

إن هذه الوديعة هي جوهرة، هي **إنسان** مليء بما وهبه الله من عطايا، فهي ليست **قطعة لحم ولا ماشية نأكلها ونعلفها**، فيجب أن ننظر لها بعمق-لنترك الصورة الخارجية، والتي هي أيضا عطية من عطايا الله، لكن تعدّها وانظر لما داخلها-كما أن الله وهبه سمعًا يسمع به وبصرًا يُبصر به ويدًا يبطش بها، كذلك وهبه الله فطرة يدرك بها الحق من الباطل، فإذا أتينا لهذه الفطرة وطمسناها نكون **قد أجرمنا!** إن المشكلة هنا أننا نخاف على بصره وعلى سمعه وعلى يده وقدمه وأعضائه ويحصل في قلوبنا ألم شديد لرؤية نقص أي شيء من قدراته، ونخاف أن يكون في أبنائنا نقص في القدرات، لكن لا يوجد ملاحظة للقدرة العظيمة التي وهبها له الله وميز بها الإنسانية وأنه موهوب بتلك الفطرة، فهي التي مكّنت الإنسان من التمييز بين الحق والباطل، فيجب أن نحافظ عليها محافظة تمكنها أن تظل قادرة على التمييز بين الحق والباطل، وتبقى تخشى الباطل وتهرب منه وتقبل على الحق.

ما الصلاح في حق هذه الوديعة؟

إن الصلاح في حق هذه الوديعة أن تبقى فطرته السوية-في تمييزه الحق عن الباطل-هي الغالبة، وكل يوم يتغذى بما يزيده تمييزًا بين الحق والباطل. من صلاح الوديعة أن يظهر كل يوم الإيمان، التصديق، اليقين، المحبة، كل يوم تظهر هذه الكلمات في حياته، بذلك نفهم أن هذا جوهر أودع لنا؛ والذي نريده أن يظهر لهذه الوديعة الإيمان وكل ما يتصل

بالإيمان، فإذا ظهر كل ما يتصل بالإيمان وبالتقوى وبالمحافظة على الصلاة وبالخوف من تضييعها الخوف من تضييع أركان الإيمان، بالسؤال عن الإيمان، بالحرص على الإيمان، فهذه صورة المحافظة على الوديعة.

➢ ما الفساد في حق هذه الوديعة؟

الفساد في حق هذه الوديعة أن تنطمس معرفة الحق ويظهر الباطل، بمعنى أنه سيكون من تضييع الوديعة أن تظهر في حياة هذا الإنسان كلمة (الإلحاد) مثلًا! أن تظهر في حياة هذا الإنسان كلمة (الشرك)، كلمة (الكفر)، كلمة (الارتداد). هذا من فساد الوديعة، ففسادها أن يظهر الباطل وينطمس الحق من قلبه، يظهر بعدة مسميات يظهر الباطل باسم الإلحاد، باسم الكفر، بالليبرالية بالعلمانية. أي كلمة من هذه يظهر بها الباطل فهذا الذي نخشاه ونخشى على الوديعة من أن تدخل فيه. فظهور أي كلام يتصل بالفساد بالإلحاد بالكفر بالارتداد بأي صورة معناه **أن الوديعة قد ضاعت!** وكثير من الناس يظنون أن المحافظة على الأبناء؛ هي المحافظة على مستقبلهم الدنيوي! مع أننا كلنا نعلم أن هذه هي أقدار قد قُسمت ومهما أتى العباد بأسباب إذا ما كانت هذه الأرزاق مكتوبة لهم فلا أحد يستطيع أن ينفعهم بشيء، فالحقيقة أن المحافظة على هذه الوديعة وصورة الصلاح وصورة الفساد لابدّ أن تكون من **جهة القلب**.

الأسباب التي تؤدي للمحافظة على الوديعة أو تضييعها

هذه هي الوديعة التي أودعنا الله إياها وهذه صورة الحق التي نريد أن يظهر عليها وهذا الضياع الذي لا نريد أن تضيع فيه الوديعة ومعنى ذلك أن الذي سيحافظ على الوديعة سيعرف الأسباب التي من الممكن أن توصل الإنسان الى الإيمان، فيأخذ الأسباب حتى يوصل هذا الطفل للإيمان، وفي المقابل يعرف الأسباب التي توصل الإنسان للإلحاد فيبعده عنها ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. **والأمر بيد الله، لكننا نريد أن نعتذر إلى الله ونفعل ما نستطيعه** في سبيل المحافظة على هذه الوديعة. إن الأسباب التي تؤدي للمحافظة على الوديعة، منها أسباب متصلة بنا نحن كمربين، وهناك هداية من الله. لن نتكلم عن الهداية التي من الله، ولكن سنتكلم عن **مسؤوليتنا** التي يأتي من ورائها الهداية من الله، والتي يأتي من ورائها الإيمان. فلابد أن نعرف الأسباب التي توصل هذا الذي نربيه أن يكون الإيمان حليفه، ونبعده ونخيفه ممّا يبعده عن الإيمان، وتكون النتيجة أنه يخاف من كل شيء ضده مثل **الإلحاد** أو ما يتصل به من أسباب توصله لذلك.

الأسباب التي تؤدي للمحافظة على الوديعة مدارها كلمة واحدة: "تربية الأبناء على الإيمان بالغيب".

فضياع مفهوم الإيمان بالغيب هو **سبب ارتداد الناس عن الطريق المستقيم**؛ لأن الناس واحد من شخصين:

- **من سار على الطريق**: وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالغيب وبرب العالمين وبما سيلقونه (**الغيبيات**).

- **ومن ضاع عن الطريق**: وهؤلاء لا يؤمنون إلا بالمادية (**المحسوسات**).

ولابد أن ننبه هنا على أننا **لا ننكر الإيمان بالمحسوسات**، نحن ندرك المحسوسات، **لكننا نؤمن إلى جانب ذلك بالغيب**، بالتالي أولئك كانت أزمتهم في الإيمان بالغيب. ولأهمية هذا الأمر، يجب أن نعرف بالتفصيل:

- هل هذه الوديعة التي وُهبناها مستعدة للإيمان بالغيب؟
- ومتى زمن الإيمان بالغيب عند هذه الوديعة؟

لابد أن نعرف أن الله خلق الناس جميعًا بفطرتهم السوية **مستعدين للإيمان بالغيب**، كما أنهم مستعدّون لإدراك المحسوس، فالقدرتان متساويتان، قدرته على إدراك المحسوس كقدرته على الإيمان بالله.

بمعنى أنه ليس شيئًا مستحيلًا عليه أن يؤمن بالغيب، وليس شيئًا بعيدًا عنه، كما يحاولون أن يصفوا ذلك في مرحلة رياض الأطفال، فيدعون أن الطفل لا يستطيع أن يدرك شيئًا غير المحسوس، وهذه كذبة كبيرة أدخلوا فيها العالم الإسلامي **(لتهيئته للإلحاد)!** وذلك في مرحلة رياض الأطفال، **لتخرج أجيال تنكر الإيمان بالغيب**. وعلى كل حال فهذه مسألة لا تحتاج إلى الاستدلال عليها كثيرًا، فلو تأملنا الطفل وهو أمام أفلام الكرتون الخيالية وهو يرى الوجه الذي فيه عدة عيون ألا يقبله؟! يقبله مباشرة، وذاك الذي يطير ويفعل الخوارق يقبله الطفل، إشارة إلى أنه ليس رهينًا للمحسوسات إنما خلقه الله وعنده القدرة للإيمان بالغيب.

لما كلفنا الله بالإيمان بالغيب، لم يكلفنا ما لا نستطيع، قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[1] {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا}[2]، لكن الأزمة أننا نطالبهم بالإيمان بالغيب بعدما مرّ الزمن الذي يكون سهلًا فيه **الإيمان بالغيب**، عندما يقترب من سن البلوغ نقول له: الآن المفترض أن تؤمن بالغيب! وهذا باطل، الله-عزّ وجلّ-لما استودع أبناءنا عندنا وأعطانا إياهم لنرعاهم رعاية كاملة لإخراجهم أشخاصًا صالحين في سن البلوغ. هذا هو الزمن الذي يكون قد كلّف فيه في الشريعة، أما الزمن السابق لمرحلة البلوغ، فهذا هو الزمن الذهبي للإيمان بالغيب، كل مفاهيم الإيمان بالغيب تدخل في هذا الزمن، وهو مستعدٌ لها، بل وله صفات تساعد مربيه على الإيمان بالغيب، فحينما يستغل هذا الزمن الذهبي في الخرافة، ثم يتعدى هذا الزمن، يأتي في زمن المراهقة-البلوغ-، ويرى أنه يجب أن ينفض عن نفسه الخرافات التي سمعها سابقًا ولا يصدق إلا بالمحسوسات. فنحن إذا لم نستفد من الزمن الذي قبل زمن البلوغ في إدخال مفاهيم الغيب، ودخلت فيه الخرافات أيًّا كان نوعها-أفلام ينظر إليها أو مسائل تتصل بعادات الناس، أو بكلام، أو ما يتصل بالعالم الأسود

(1) [سورة البقرة: 286]
(2) [سورة الطلاق: 7]

(السحر–كما يعبرون–) وما يتصل به، أي شيء–نجده عندما تأتي فترة البلوغ وينظر خلفه فيرى الخرافات، ويرى أن الناس أمامه مؤمنون بالماديات، يؤمن بالماديات ويرفض كل شيء يتصل بالغيب، على أن كل شيء يتصل بالغيب خرافات، هذه هي الجريمة التي تحصل.

وقد يترك هذا الزمن كله، يتخبط في مسائل الغيب والإجابة عن أسئلته فيها، ولا يُعلّم ولا يُلقّن؛ ولا يجاب عن أسئلته، فتكون النتيجة أنه أينما يجد خشاش الأرض يأخذه. فكيف يتصوّر الحياة، من أي ألسنة سيسمع الحقائق، ومن أين سيتصور هذه الأمور التي ستكون بمثابة الركائز التي يبنى عليها حياته! تخيّل عندما يهمل زمن الركيزة، ماذا سيبنى فوق هذه الركائز الهشة، من المؤكد أنه سيحصل هذا الاضطراب الذي نشاهده.

لكن **يجب أن نبقى متيقِّنين أنه حتى لو فات هذا الزمن الذهبي يبقى الإنسان مستعدًّا للإيمان بالغيب إذا لطف الله به، فلا نيأس.**

➢ متى يبدأ استعداد الإنسان للإيمان بالغيب؟

عندما كلفنا الله بالإيمان بالغيب أعطانا الزمن الذي نؤمن فيه ويسّر علينا هذا الأمر، فقد أعطانا زمن كل دور الأم فيه مع أبنائها هو أن تبث في نفوسهم مفاهيم الغيب، وتعلمهم إياها وتفهمهم وتجيب عن أسئلتهم في ذلك، وهذا الزمن يمتد منذ **أن يفهم الخطاب ويرد الجواب إلى قرب سن البلوغ**، وهو مازال في حالة من **الجوع الفطري المعرفي** لمعرفة الحقائق، وهذا الجوع المعرفي أكبر مثير له.

إن الطفل الرضيع يبكي ليعبّر عن الجوع والعطش، أو يعبر عن حاجته، ثم عندما يكبر قليلًا يتمكن من التعبير بلسانه؛ لأنه لُقّن كيف يعبر عن هذه الحاجات سواء طعامه أم شرابه أم غيرها من هذه الحاجات، لكن حاجاته الفطرية فيها جوع، فيها عطش، فيها حاجات كثيرة، ما عُلّم كيف يعبر عنها، ما عنده قدرة ولا يعرف كيف يعبر عنها، لا يعرف أن يقول لك إنه محتاج إلى ركن شديد، ما يعرف أن يقول: أنا طوال الوقت خائف، أحتاج أن تعلميني إلى من أفزع، على من أتوكل؟ على من أعتمد؟ من أنادي عندما أخاف؟ في الليل من يكون معي؟ ولنتأمل ما نقوله في السفر: (أنت الصاحب في السفر) معناه أن الإنسان خارج، تارك الأرض التي تكون فيها حياته واستقراره، ما له إلا الله **الصاحبُ في السفر**. فهذا الطفل طوال حياته، يبقى محتاجًا إلى من يكون له قريبًا مجيبًا سندًا له وركنه الشديد، ونحن طوال الوقت نقول له: لا تخفْ أنا معك! فأصبحت كل حاجة معتمدة على هذا المحسوس، أصبح يفهم أنه لابد أن يكون معه محسوس ليطمئن ولا

يخاف. **والثقة بالله هذا زمن بنائها ليس زمن الثمرة**، في سن الطفولة لن نأخذ ثمرة بناء العقائد إلا قليلًا، لكننا سنبقى نغرس في هذه الأرض غرسًا ونجد الثمرة-بأمر الله-عندما يبدأ في النضج، تبدأ تظهر الثمرات.

إذًا الطفولة أرض، تُغرس فيها الثقة بالله، وكلَّما نضج الطفل، كلَّما ظهرت ثمرات الغرس، فلا تعلِّق طفلك يا أيها المربي بالمحسوسات، بل علِّقه بالغيبيات.

إن الذي يمتلئ إيمانًا بالغيب في مرحلة طفولته نجد ابتعاده في مرحلة البلوغ عن الطريق المستقيم يسير جدًا، وقليل هم، كلهم لابدّ أن يبتعدوا عن الطريق شيئًا يسيرًا، لكن عندما يكون امتلأ في طفولته إيمانًا بالغيب يأتي في مرحلة البلوغ فيكون سائرًا على الطريق المستقيم. أما عندما لا يكون قد امتلأ إيمانًا بالله، بل امتلأ إدراكًا للمحسوسات، يكون ابتعاده كبيرًا، حتى إنه حين يبتعد يقول لك: دعونا من هذه الخرافات، دعونا من هذا الكلام، يريد منك دائمًا حلولًا ماديّة؛ لأنه **ما مرّ في الزمن المطلوب بالإيمان بالغيب**.

إذًا، أهم أسباب الصلاح، لتظهر عليه آثار الإيمان، لابدّ في هذه المرحلة المهمة من حياته من أن يعي الكلام عن الإيمان بالغيب والإجابة عن الأسئلة المتصلة بالغيب. لكننا، حتى وإن لم تحصل هذه التغذية في زمن الطفولة، فنحن متيقنون أن الله بلطفه ومنّه وكرمه يلطف بالعباد ويدلهم على الصراط المستقيم. فمن المهم أن نعلم **أنه حتى لو تعدى فترة الطفولة وأراد الله هدايته، فالله على كل شيء قدير**. لكن الطريق الطبيعي أن نستفيد من الفترة التي قبل سن البلوغ أو قريبة من سن البلوغ، فهذه الوديعة صلاحها ليس بأن نهيئها لسوق العمل! ليس صلاح الوديعة أن يكون عاملًا في سوق العمل! صلاح الوديعة أن يكون مؤمنًا بالغيب؛ هذا صلاح الوديعة؛ ولذلك كثيرًا ما يختطفنا التفكير في المادية التي طغت على الناس فجعلت صلاح الوديعة أن يكون طبيبًا مشهورًا أو مهندسًا مشهورًا، المهم عندهم أن يكون مشهورًا فقط! أصبح هذا مقياس الخلط في صلاح وديعتهم، والحقيقة أن صلاح وديعتهم **إنما بصلاح قلوب وديعتهم**، وصلاح قلوب وديعتهم ما يكون بإعداد عامل في سوق العمل إنما بإعداد مؤمن يكون في أحسن حال عندما يلقى ربه.

هل معنى ذلك أن نتركه عالة على المجتمع؟! ليس هذا المقصود، فإن من عرف الله وآمن بالله-عزّ وجلّ-سييسر له أحسن الأسباب، والله-عزّ وجلّ-وعد بالحياة الطيبة لمن آمن، بل وعد حتى **بصلاح البال**، ألم يقل الله-عزّ وجلّ-في سورة محمد: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}[1] حتى صلاح البال موعودون به، ستصلح دنياهم، فلا تحمل هم الدنيا، بل احمل هم الذي سنحاسب عليه، فإن إهمال تعليمه مسائل الغيب يعتبر إفسادًا لهذه الوديعة.

- **ما علامة الإفساد في هذه الوديعة؟**

عرفنا الآن أن علامة الإفساد في هذه الوديعة يكون بالإهمال في الطفولة من جهة مخاطبته بالإيمان بالغيب، وقد نجد الناس المحافظون على تربية أبنائهم يكلمونهم عن الأخلاق والقيم العليا ويكلمونهم عن حسن التعامل، ويكلمونهم عن مدارسهم وعن الاهتمام بمدارسهم، واحترام المعلم، والمستقبل، كل شيء **ما عدا الإيمان بالغيب** معتمدين على أنه سيكبر ويعرفه! وهذه خطيئة–كما اتفقنا–فسيمرّ الزمن الذي يؤدي إلى أن يكون فيه هذا الأمر غاية في السهولة واليسر. إن إهمال الكلام عن **مسائل الغيب** في زمن الطفولة، هذه علامة خطيرة تدل على أن باطلًا سيأتي من وراء هذه الحالة وسنكون قد أفسدنا الوديعة حيث أهملنا الاستفادة من فطرته السويّة، ومن ثم لا يدخل إليه الإيمان بالغيب، ومن ثم ينكر أو يلحد أو يشك...هذا كله معناه أن صورة هذه الوديعة قد فسدت، وصورة الفساد هي **إهمال قلب الطفل**.

وبالمقابل نكون قد اعتنينا بالطفل وقمنا بما يجب علينا مع هذه الوديعة **إذا علّمناه الإيمان بالغيب**، وليس فقط تعليمه الحروف وتعليمه جدول الضرب، ليس هذا الحفاظ على الوديعة، هذه أسباب لا مانع منها ولا نختلف عليها ولكن نحن نقول: ربنا أوصانا في أولادنا فعلينا أن نوصلهم إلى الإيمان بالغيب، ولا ننسى أن عندهم أداة يستطيعون أن يصلوا بها وهي ما أعطاهم الله من فطرة سوية التي هي عقل الإدراك. فلو اعتنينا به فسيصل إلى الإيمان، وأما إن أهملناه فتكون النتيجة أن **يدخله الشكّ أو يصل إلى حد الإنكار**؛ فممكن أن ينكر نتيجة عدم مناقشة الأمور الغيبية تمامًا وبقاء مناقشة الأمور الحسية طوال مرحلة الطفولة، وعندما يكبر ونأتي في مرحلة البلوغ نريد تعليمه الغيب فيكون قد قسا علينا، فيصبح من الصعب تعليمه مسائل الغيب.

وهنا لابد أن ندرك أنه عند مناقشة الطفل في الأمور المتصلة بالغيب، أن الأبناء مختلفون في: قدراتهم وأسلوب تفكيرهم وبيئاتهم. وهذا الاختلاف الكبير يوصلنا في النهاية إلى أنه من الممكن أن تكون هذه الأطروحة هنا غير الأطروحات التي ممكن أن ألقيها هناك، والبيئات هنا غير البيئات هناك؛ لهذا لابد أن نتفق على أساسيات لابد منها أثناء الكلام عن الغيب مع الأبناء. هذه الأساسيات لابد من التنبه لها من قِبل الآباء والأمهات، والمربين، والمسؤولين عن الكلام عن الغيب. **وحتى نصل إلى مناقشة الطفل في أمور الغيب**، هناك محوران مهمان لابد من تسليط الضوء عليهما وهما:

(1) [سورة محمد: 2]

1. **المربي الذي لابد أن يكون له صفات تميزه حتى يستطيع مناقشة أمور الغيب.**
2. **الطفل نفسه وبعض الأمور المتعلقة به.**

وفيما يلي نستعرض ذلك بشيء من التفصيل.

ما هي صفات من يحافظ على هذه الوديعة؟

أما الأمور التي لابد أن تكون في المربي فهي:

1. أن يكون المربي المهتم بصلاح الوديعة يخاف الله وحسابه ولقاءه

إن من يتجرأ ويفتح مسائل الغيب مع الصغار، لابدَ أن يكون خائفًا من حساب الله، حتى يستفيد في تربية هذا الابن. فهذا الخوف يسبب له الحرص، أما غياب الخوف من الله وغياب الإحساس تجاه الأبناء بالمسؤولية–فما أقدر أن أقوله سأقوله، وما لا أقدر أن أقوله فلا إشكال عندي– يجعلنا لن نراقب ولا نستفيد من المواقف، ولا نلاحظ ردة فعله، يجعلنا نهمله، ليس من جهة أكله ولبسه، بل الإهمال من جهة **قلبه وروحه**، إهمال المظاهر التي تظهر عليه أنه يستطيع أن يستوعب ويفهم، إهمال مثل هذا والتركيز على أن أقول له: لا تسألني مثل هذه الأسئلة، لا تكثر عليّ الكلام، حل واجباتك، نم مبكرًا، البس، اقضِ حاجتك، كل هذا الكلام ما فيه خوف، الذي يخاف من الحساب يعرف إن كل فرصة تأتيه لابد أن يستغلها ويضع بقية الأمور بعد ذلك. لكن عندما تكون هناك حالة من اختلاط الأولويات عند الآباء والأمهات والمربين ونأتي في رياض الأطفال إذا خرج وهو لا يكتب نكون في حالة حزن شديد مع أن هذا هو السن الذي يجب أن يخرج **بمفاهيم صحيحة عن الغيب**، خصوصًا لو كان مجتمعًا مع غيره، عقله وعقل غيره سيسبّبا انفتاحًا في التفكير، بسبب تلاقح أفكارهم، لكن الأولويات عندنا في رياض الأطفال، الأمهات والمعلمون غايتهم في رياض الأطفال أن يكتب ويقرأ حتى لا يتعبنا في المرحلة الأولى! هذه هي كل القصة!

لن يضرنا لو أجلنا التعب إلى السنة أولى، المشكلة أننا لا نعرف هو من؟! لذلك نفوت على أنفسنا الفرص العظيمة، فعندما يكتب اسم الله يسألك: ما معنى هذا الاسم؟ فتقولين له ليس وقته الآن! متى وقته إذًا؟! هنا تظهر المشكلة وهي أننا لا نعرف ما هي الأولويات، لكن **الخوف من الله يسبب ترتيب الأولويات في حق الطفل.**

2. مراقبة الصغار لمعرفة ما وهبهم الله

يوصى الأمهات والآباء بمراقبة الصغار، وكلما زادت المراقبة سيزيد اكتشافنا لما أعطاهم الله من قدرات، ومن ثم سنستفيد من القدرات التي أعطاهم الله إياها وبسهولة نفتح معهم الموضوع الذي يتصل بالإيمان بالغيب.

إن الصغار لديهم الكثير من القدرات، بالإضافة إلى أننا نعرف أن لهم فطرة سوية وأن الله أعطاهم قوى لتمييز الحق من الباطل، المراقبة تزيد هذا اليقين، فمثلا نجد أن طفل رضيع عمره تسعة أو عشرة شهور، عندما يمثل أحد أنه يتهجم على أمه نجده يبكي، أدرك أنه سيقع عدوان على أحد يحبه، وهو يكره الظلم، ويحب العدل وينتصر لأحبابه.

إن الذي يراقبهم يعرف كم أعطاه الله، ويعرف أنه ليس أمام قطعة لحم لا قيمة لها، نحن أمام جوهرة مليئة بالقدرات، وكلّما لاحظناها ازددنا يقينًا بذلك. المشكلة أننا دائمًا ننسبها للذكاء، ومقياس الذكاء عندنا اختل اختلالًا كبيرا مع التعليم عند الكثير حتى أصبح الحكم على النبيهين من أبنائنا الذين ينتبهون ويلاحظون **أفعال الله** ويسألون عن ما وراءها، حُكم عليهم بأنهم يتكلمون بكلام ليس له معنى، والذي يحفظ ويحل المسائل وما يهمه شيء إلا الذي يدرسه فهو ممتاز وذكيّ وفهيم، هذا الاختلال سببه أن الناس يقومون بدور غير دورهم الحقيقي، الذي يجب أن نقوم به. والأمر الثاني الثقة أن بين أيدينا جوهرة، وهذه الجوهرة ستزيد لمعانًا عندما يصل إليها الإيمان، وتظهر هذه المسألة بكثرة المراقبة، فكلّما راقبناه أكثر لاحظنا فهمه واستسلامه، وكيف يحفظ منَّا اليوم الكلام وغدًا يقوله، كيف يستعمله في المكان الصحيح، كيف يركع ويسجد، فالطفل لا يدرك شيئًا بل هو في أول محاولاته للقيام يقوم على قدميه، يميل للركوع والسجود...كم هو مفرح لمنْ عرف لماذا هو يعيش؟ فحينما يتكوّن ذلك عنده، فهذا من الشرف أن يكون الإنسان ساجدًا لربه، وكلّما كبر تكرر عليه سماع والديه يقرآن عليه القرآن، يراهم يتوضؤون، يراهم يهتمون، إلى آخر هذه التصرفات التي تنطبع في ذاكرته وتبقى ندية الطعم، كله من اهتمامات الوالدين، فهما لابد أن يلحظا أبناءهما أكثر ليريا كم أعطاهم الله.

3. أن يكون لدى المربي علم ليرد به على أسئلة الأطفال:

الأمر الهام الذي يجب على الوالدين أن يكونا مراعين له، **مسألة العلم**. كما أن الله حرم القول عليه بلا علم في الإفتاء وفيما يتصل بالإخبار عنه فلابد أن نعرف أنه في حق أبنائنا أيضًا يحرم عليك أن تقول لهم خبرًا بلا علم، خصوصًا فيما يتصل برب العالمين. فيحتاج المربون أن يكونوا على حذر من أن يقولوا على الله بلا علم، يعني يأتي الطفل يسأل مثلًا من أين أتى؟ هذا سؤال مهم لديه، خصوصًا لما يرى الأم حاملًا لأطفال قادمين، أسئلة ملحّة عليه، هذه مسألة فيها حرج

فتتهرب الأم منها، بإجابات تامة الغباء! ويصدق الطفل، وهذه هي المشكلة؛ لأننا نعتقد أن الطفل سيصل ويدرك أن كلامنا خطأ، لكن الطفل يجعل كلامنا هو أحد الأسس التي يبني عليها تفكيره، وهذا معناه أننا سنوصله لأحد أمرين:

- إما أن يجعل كلامنا مطروحًا أرضًا عندما ينضج.
- أو يصل لحالة من التفكك في تفكيره، ليس لديه شيء متصل بعضه ببعض، كل معلومة لديه موجودة في مكان.

وهذا الذي يسبب لهم تأخرًا في التفكير، وفي اتخاذ القرارات، يشوه لهم شخصياتهم، يكونون مهزوزين من جهة المعلومات. فحرام على الوالدين أن يقولا على الله بلا علم إجابة لأبنائهم، لابد أن يكون عندهم علم. ولا يعيب الوالدين أن ينتظرا فيبحثا عن الإجابة، لا يعيبهم أن يؤجلا النقاش، يعيبهم أن يقولا على الله بلا علم.

إن الطفل في مراحل العمر الأولى لا يحتاج إجابات تفصيلية، لو أن الأم قالت له: أتيت من بطني، الله خلقك في بطني، فهذه الإجابة كافية، ولا نقول على الله بلا علم. وكما يجب علينا أن نعرف المعلومات ولا نقول على الله بلا علم، يجب علينا أن نتعلم، ويجب علينا أن نعرف أن الطفل له أسلوبه الخاص في الأسئلة.

4. طلب الهداية والتسديد من الله

على المربين أن يكونوا حقيقة دائمي طلب الهداية والتثبيت فيرددون دائمًا: لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم اهدني وسددني! فيجب على الوالدين أن يتقنا طلب الهداية والتسديد من رب العالمين عندما يجيبان عن أسئلة الطفل، **خاصة في الألفاظ التي يستعملانها.**

أحيانًا تكون المعلومة واضحة في ذهن الآباء والأمهات لكن الألفاظ التي يحتاجونها ليستعملوها في حق الأبناء لم يهتدوا لها. فلابد أن نطلب من رب العالمين الهداية والسداد في كل الأحوال، وخاصة في الألفاظ التي نستخدمها ونحن نكلمه عن الله، أو نكلمه عن إجابات أسئلته على وجه العموم. طبعًا هناك أمور ليست غيبًا. ولكنها في حكمه غيب، فمثلا عندما يسأل الطفل: من أين أتى؟ هذا ليس غيبًا، بالنسبة للناس شهادة، لكنه في حكم عقله يعتبر غيبًا. المفترض أن نختار الكلمات الصحيحة ونعرف المرحلة العمرية والكلمات التي تقال في كل مرحلة. ونستفيد مما تعلمه في التعليم.

أسئلة الأطفال: سببها – أنواعها–خصائصها

السؤال حاجة إنسانية:

قبل أن نتعرف على أسئلة الطفل، هناك مسألة مهمة ابتداء، وهي أن السؤال حاجة إنسانية، وهو الطريق إلى التعلّم. فكون الطفل يسأل، معناه أنه يتمتع بصحة عقلية وبصحة نفسية، لماذا؟ لأن الأسئلة حاجة إنسانية، أنت لا تحمل هم كيف سأفتح معه موضوع الغيب، لو كانت لدينا الصفات السابقة–نهتم بمسألة الغيب ونخاف من الحساب ونطلب من الله أن يهدينا ويسددنا ولا نتكلم على الله بلا علم–فلنعلم أن الأسئلة أصلًا بالنسبة للطفل تعتبر شيئًا طبيعيًا وحاجة إنسانية، وإذا كان يتمتع بصحة عقلية ونفسية فإنه سيسأل؛ لكن إذا كان يتعرض للقمع فهذا سيسبب له الامتناع عن السؤال، فنحن لا نحمل همًّا، هو سيسأل إذا بدأنا نفتح له الموضوعات. فلابد أن نعرف أن الطفل بما أنه يسأل إذًا هو بصحة عقلية جيّدة، وهذا إشارة إلى الصحة العقلية، إذًا أصبح السؤال عند الطفل إشارة إلى نوعين من الصحة:

صحة عقلية: دليل على أنه يفكر بصورة جيدة.

صحة نفسية: دليل على أنه بحالة من الاطمئنان تيسر له أن يسأل.

بالمقابل فإن عدم السؤال يدل على أحد أمرين:

إما أن الطفل لديه ضعف عقلي، أو أن الطفل يمرّ بضعف نفسي، وهذا نقدمه على الضعف العقلي، يعني بحالة نفسية لا تسمح له بالسؤال، فيؤجل أسئلته أو يتجاهلها، وهذا يحصل كثيرًا في حالات (القمع)؛ بمعنى نظلّ نقول له: أنت كثير أسئلة، أنت فضولي، إلى غير ذلك من هذه الكلمات، فتكون النتيجة أن يصاب بحالة قمع من السؤال لكن لا تمنعه من التفكير، فتأتي هنا مشكلة فالقمع لا يمنعه من التفكير ولكن يمنعه من السؤال، وهذا سيقود الطفل لأن:

- يأخذ مصدرًا آخر للإجابات.
- أو تتحول الأسئلة إلى مجموعة شكوك وشبهات.

ولهذا يجب أن نجيب عن أسئلة الأطفال؛ لأنه إما أن يبحث عن مصدر آخر للإجابة، والله أعلم من سيجيبه، أو الذي لا نجيبه عنه أو ما نناقشه معه وما نضع له حدًا أو ميزانًا سيتحول إلى أن يصبح شكوكًا. لذا عندما نقرأ في نفسيّات الملحدين نجد أنهم تعرضوا في مرحلة صغرهم **لحالة من القمع في الأسئلة**، فتحول السؤال إلى **شك** في صحة المنهج، كأنه يقول: إذا لم تجيبوا على السؤال فأنتم ليس لديكم إجابة على سؤالي.

الحمد لله نحن ديننا واضح **والمشكلة فيمن يعلّم الأطفال**، وقد تظهر هذه المشكلة بوضوح عند النصارى عندما يسألون: كيف واحد في ثلاثة؟! فلابدّ أن يقنعوهم أو يقولوا لهم كلامًا لا يُقبل؛ لأن هذا الكلام لا يقبل به عقل، ولم يأت به وحي، فأكيد أنهم سيُجيبونه إجابات **تُسبّب لهم الشك**، فكثير ممن يخرج من دين النصارى يكون سببه أنه لم يجد إجابات عن أسئلته، لكننا نعلم أن عندنا لكل سؤال يسأله إجابة. وليست الإجابة **أننا سنعطيه كل التفصيل**، فمثلا يأتينا من أسئلة الأطفال أنهم يسألون عن وصف الله؛ لأنهم يعتقدون أننا عندما نصف شكلًا فإننا سنصف الله مثله، نحن عندنا إجابة لكننا نقول لهم: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وإنه عظيم، وإنه جليل، سبحانه، هذه الإجابات الصحيحة، وليست الإجابات التي **تظنها أنت أنها صحيحة**، هي الإجابات الموجودة، معنى هذا أن قمع الأطفال في الأسئلة يمكن أن يجعلهم يأتون بإجابات من مكان آخر، مشوّهة أو ممكن أن تأتي بالتشتيت.

لماذا لا يسأل الطفل؟

الطفل الذي لا يسأل هو أحد هؤلاء:

أ. طفل تعرض للقمع فصحته النفسية ليست جيدة.

ب. عندما لا يسأل الطفل فقد يدل ذلك على ضعف في عقله، وهذا قليل لأن ضعف العقل هو **حالة قليلة** لأنها تظهر باضطرابات كثيرة أخرى.

ج. قد لا يسأل الطفل نتيجة قوة ذكائه، فهو يستطيع أن يربط بين المسائل، يأتي بكلمة من هنا وكلمة من هناك ويضع بعضها على بعض فيربط بين المسائل، وهذا أيضًا **يحتاج إلى توجيه**؛ لأن كثيرًا من الأذكياء الفهيمين نقصتهم خانات معينة فضيعتهم، ضاعوا بسببها فدخلوا في **الفلسفة** فهم وضعوا إجابات من عندهم، عندما لم يجدوا إجابات تقنعهم، فلديهم ذكاء بحيث لا تقنعهم أي إجابات فيفلسفوا الأمور حتى يجدوا إجابة تقنعهم، فيصلوا لإجابات معينة أو مستوى معين من الإجابات. هذا شديد الذكاء ماذا يفعل؟ هو يفكّر ويركّب الأشياء بعضها على بعض، فهذا غالبًا إذا أُهمل يصل إلى حد **الفلسفة**، يفلسف الأمور، يعني يعطي من عنده إجابات ويركب الأشياء بعضها على بعض ويقيس قياسات عقلية من عنده، هذا أيضًا **يُخاف عليه جدًا؛ لأنه سيعطي نفسه إجابات ولا يعطي نفسه فرصة أن يسأل أحدًا**.

كيف يسأل الطفل؟

هناك أمور واضحة في أسئلة الطفل لابد من ملاحظتها منها طريقة سؤال الطفل والتي قد تكون:

- **بطريقة مباشرة** أو **بطريقة غير مباشرة**:

فعندما يسأل بطريقة مباشرة؛ فهو يكلمنا عن المسألة مباشرة فيقول بوضوح: أين الله؟ إلى أن يجد منك ردود فعل، وعلى حسب ردود فعلك هو سيكمل أو يتوقف. وإما بطريقة غير مباشرة، يعني يسأل عن الموت بطريقة غير مباشرة، أين يذهب الناس؟ أين ينتهون؟ هو خائف مما سيكون، أتته المعلومات بطريقة مخوّفة له فلا يسألك بالضبط ماذا يحصل؛ إما لخوفه وإما أنه يريد أن يتعلم ويعرف الحقائق لتزول منه المخاوف وفي الوقت نفسه هو متردّد. وكلما تقدم في عمره ممكن أن يسأل بطريقة غير مباشرة. يقول لأمه: أنت أتيت من أمك، وأمك أتت من أمها...إلخ، ثم يأتي لنظام التسلسل، إلى أن يصل إلى الله يبقى علامة استفهام عنده سؤال غير مباشر، يريد أن يعرف من قبل الله، والله هو الأول الذي ليس قبله شيء، كلما تقدم به العمر كانت أسئلته غير مباشرة لأنه يعرف أنه سيحصل حالة من الاصطدام فيبدأ يغير الكلام ليصل إلى ما يريد، فهو إما يسأل سؤالًا مباشرًا وإما يسأل سؤالًا غير مباشر، هذه صورة. هناك صورة أخرى للسؤال المباشر وغير المباشر، فأحيانًا:

- يسأل عن أفعال الخلق.
- أو يسأل عن أفعال الله.

وعندما يسأل عن الله هو يسأل عن الأفعال، فحين يسأل عن الأفعال هذا يعتبر سؤالًا غير مباشر، يعني عندما يسأل عن المطر، فهو في بداية حياته لا يتصوّر أن المطر ينزله الله إنما يشبه المطر اليوم (دش الحمام)، يتصوّر هذا، فهو سيسأل عن المطر فكأنه يسأل عن الله بطريقة غير مباشرة، هو لا يفهم أنه يسأل عن الله، نحن سنجيبه جوابًا يرشده أن هذا فعل الله، فأحيانًا يسأل عن أفعال الله وهو لا يدري أن نهاية السؤال عن الله، وأحيانًا يسأل عن فعل المخلوقين وواجبنا أن نستفيد من ذلك فنرده إلى الله، وأحيانًا يسأل مباشرة عن الله: أين هو؟ ما صفته؟ فهو يطلب أن نعطيه وصف **ذات الله** أو يطلب وصف **صفات الله**، هذا **سؤال مباشر**. أما إذا كان يسأل عن أفعال الله فهذا **السؤال غير مباشر** لا يعرف أننا في النهاية سنقول له إن الفاعل هو الله، أو يسأل عن أفعال المخلوقين والمفترض أن نستفيد من ذلك بأن نردها إلى الله والمثال على ذلك **قصة الخبز**، سؤال: من أين أتى الخبز؟ هذا سؤال غير مباشر، أو عندما يقول لنا: من الخباز أو الدكان أو أي كلمة هو سيقولها نحن سنستفيد من سؤاله فنرده إلى أصله وأنه من عطايا الله.

- **التكرار: من طبيعة سؤال الطفل التكرار** وهذا من طبيعة مرحلة الطفولة التي تتمتع بهذه الصفة–الحاجة إلى التكرار–بمعنى أن التكرار ليس غباءً ولا يدل على أنه لم يفهم، إنما هذه حاجة من حاجاته لا بدّ من التنبه إليها، أي صفة التكرار هذه صفة في كل الأطفال، إلا أن بعضهم يخفيها وبعضهم يظهرها. وهذا يرجع حسب الذي يعامله، فلو كنت عرضتِه للقمع المتكرر فهو سيتوقف عن السؤال مرة أخرى، أو لو كنا أحيانًا نقمعه المرة بعد الأخرى لكن هو طبيعة صفاته

أنه لا يبالي بالقمع فيكرر، هناك أطفال مجرد أن تنهرهم مرة واحدة فإنهم ينتهون، لكن في داخلهم مازالت الحاجة للتكرار موجودة؛ لذلك لا ننسى أن أبناءنا **مختلفون في طباعهم**، فلا نتجاهل الطباع، أما المشترك بين الناس كلهم فهو **الفطرة السوية**. إن تكرار السؤال يقلّ مع زيادة العمر، فالطفل الذي عمره ثلاث سنوات يسأل سؤالًا ونرد عليه، وغدًا يسأل السؤال نفسه، ونرد عليه الإجابة نفسها، وطفل عمره أربع سنوات وخمس سنوات يفعل هذا نفسه، وعندما يبلغ ست سنوات وما فوق يقلّ عدد مرات السؤال، لكن فيها تكرار، ليس لأنه غير مقتنع بالإجابة، إنما يكرّر طلب الإجابة ليحصل عنده حالة من الامتلاء بالإجابة. نضرب مثالًا: نحكي له قصة فيها شخصيات، وهذه الشخصيات ذهبت إلى الحديقة، اليوم الثاني نقول: ذهبت إلى الملعب، فيصحح لنا ويقول: لا، بل ذهبت إلى الحديقة، إشارة إلى أنه حافظ، هو يحتاج أن يتشبع بالمسموع، نتخيله مثل بئر مطلوب منَّا أن نملأه، لكي يستطيع أن يغرف منه، يعني لا المرة ولا المرتان تكفيه، يجب أن نكرر الكلام نفسه؛ لذا الله خلق الأمهات–النساء–لهم قدرة على كثرة الكلام في التربية، هذه القدرة على الكلام ليمتلئ هذا الصغير، بشرط أن لا نغير الألفاظ.

- **الإجابة بالألفاظ المستخدمة نفسها**: أيضًا في طبيعة سؤال الطفل **إذا أردنا أن نجيبه فعلينا ألّا نغير الألفاظ** وهنا تنشأ المشكلة عن المأساة التي نعيشها في اللغة، **وهي أحد أسباب الإعاقة القوية الحاصلة في أطفالنا لفهم كلام الله**، فكلمة من القرآن كانت تكفيهم لكن لأن اللغة ضعيفة جدًا وهزيلة عند الآباء بالتالي عند الأبناء ستكون أكثر هزالة؛ لذلك مهما تكلمنا فإنه يحتاج إلى الكلام كثيرًا حتى نبين له شيئًا بسيطًا والسبب ضعف اللغة، فضعف اللغة هذا شيء خطير، وحتى نحل المشكلة يجب أن نبدأ تعليمه والقراءة له، نقرأ كلامًا يزيد ثروته اللغوية، ونستعمل معه ألفاظًا تيسر عليه فهم المعاني العميقة. فهو الآن ينمو عقله، **وأول دلالات نمو عقله نمو لغته**، فلابد عندما نكلمه، أن نكلمه على أننا نبني مشروعًا للثراء اللغوي، لا نعطيه كلمات ضعيفة وأحيانًا نتكلم بتشبيهات بعيدة عن عقله، وأحيانًا نتكلم بألفاظ ليس لها علاقة أبدًا بالحقائق إنما مجرد ألفاظ اعتدنا على استعمالها. فمثلا إذا سأل الطفل اليوم: أين الله؟ نقول: في السماء. غدا لا تغير وتقول: فوق أو على العرش أو نغير الألفاظ التي استخدمناها، وعندما يكبر ممكن أن أضيف على الألفاظ، لكن لا نغير الألفاظ نفسها، ولا نظن أنه لا يقتنع، إنما يحتاج إلى التكرار.

➢ طبيعة استجابة الطفل للإجابة:

تمتاز استجابة الطفل للإجابات عن أسئلته بعدة أمور منها:

1. إنه ليس صاحب انفعال ومناقشة:

أن الطفل الصغير يختلف تماما عن الكبير الذي حين يسأل وتجيبه، يناقشك في الإجابة، أما الطفل الصغير فهو ليس صاحب انفعال ومناقشة، وكلما قرب من سن البلوغ، قلّت فيه هذه الصفة، وتسمى فكريًا هذه المرحلة (**المرحلة الانقيادية**)، فمثلا إذا سأل أمه من أين أتيتِ بي؟ فتجيبه: من البقالة! لن يسأل كيف، يسلّم، الذي تقوله له ينقشه في قلبه؛ لذلك تحصل هنا جرائم! فهو يأخذ مما يقال له ويكتبه في قلبه.

أن أول صفة من صفاته وهو في المرحلة الانقيادية أنه **لا ينفعل ولا يناقش** إنما يقبل ويسلّم، وفي هذه المرحلة الانقيادية يقبل أي شيء، أي معلومة نعطيه إياها يقول: سمعًا وطاعة. لا يرد علينا يعني نقول له: نحن في الأرض، نحن في الفضاء، في القمر، في المريخ، أين تذهب؟ ذاهب إلى المريخ سيصدق، ما عنده أي معارضة.

2. أنه إذا تعارض عنده خبران امتنع عن القبول:

أن الطفل لا يقبل التعارض بل يمتنع عن قبوله: فإذا قلنا له وهو يتربى معلومتين متعارضتين فإنه يمتنع عن القبول لأنه هو، أصلًا، يقبل أي شيء إلا عندما تبدئين بإعطائه معلومة ثم تعطينه معلومة تعارضها. فهو ذاك الوقت يمتنع عن القبول. يعني لو قلنا له المعلومة (أ) ثم قلنا له معلومة (ب) تخالف (أ) فسيمتنع عن القبول، لكن الأولى لماذا قبلها رغم أنها غير واقعية ولا صحيحة؟ لأنه لا يوجد شيء آخر يعارضها. فمثلًا هذه المسألة لم يقل له أحد خبرا فيها، وأنت أول من يقول له خبرًا، مجرد أن تقول له سيقبل، أيًّا كان ما تقول له، لكن إذا كبر قليلًا وسمع خبرًا آخر، **أول ما يسمع تعارضًا يمتنع عن القبول**؛ لأن عقله ليس فيه معلومات كثيرة، وأول ما تأتي معارضات لا يقبلها عقله، نضرب مثالًا على انفعالات ليس على معلومات، مثلًا طوال أيام الأسبوع تقول له أمه: لا تنم في وقت العصر حتى تنام مبكرًا في الليل، تأتي يوم الخميس تقول له نم في العصر، فلا يرضى أن ينام، فتقول له أنت عنيد، ولا تسمع الكلام، وكل يوم أقول لك لا تنم وأنت نعسان، انظر إلى هذا التفكير وهو شخص واحد، من دون تعليل للطلب تصبح مشكلة، لكن **لو وضحنا له التعليل من الممكن أن يستجيب**؛ لذا نجده يقول: لماذا تقولين كلامًا متعارضًا. فيجب أن نوضح له، أننا ما عندنا تعارض ونقول له: طوال الأسبوع مدرسة، ويوم الخميس نريد أن نخرج وهكذا، فإن الكلام معه على **أنه آدمي يفهم وله قرارات، سيجعله يقللّ هذا النوع من التعارضات.**

مثال آخر للتعارضات، نقول له كل يوم: لا تفتح الباب حتى تعرف مَن وراءه، وإذا تأكدت من هو افتح الباب، وجاء يوم واتصل بنا أحد الناس وقال: أنا عند الباب، فنقول له افتح وما يرضى أن يفتح! فنخاصمه، والمفترض أن نفهمه أولًا أن هناك أحدًا اتصل وقال إنه سيأتي، وهو فلان، فافتح الباب. هذه التعارضات للطفل تعتبر **مانعة للفهم**، الطفل لا يقبلها، لو كان شجاعًا ممكن أن يتكلم، أما لو كان يتعرض للقمع المتكرر فلن يتكلم، سيقفل باب التعارضات التي ليست مقبولة لديه.

3. أنه يحتاج إلى ثروة لغوية جيدة لتحصل الاستجابة الجيدة:

ستحصل استجابة الطفل على حسب الثروة اللغوية لديه، يوجد رافد مهم لابد أن نغذي به الطفل، وهو رافد **الكلمات**، تكون لدينا ثروة من الكلمات لنستعملها مكانها، و**الكلمات تحبس وراءها معاني**، والمعاني لابد أن تكون واضحة.

فمثلًا: الطفل عندما يشوّه له استعمال بعض الكلمات أو استعمال بعض الصور يشكل عليه تفنيد المسائل، مثلًا: الصغيرات دائمًا نقول لها: أنت مثل القمر، هي صغيرة، عمرها سنتان ونصف وطوال الوقت تسمع: أنت مثل القمر، فحينما نبدأ نعلمها أن القمر آية من آيات الله، نحتاج مسافة لكي تفهم أن هذه الكلمة تعني هذا الشيء، وأن استعمال هذه الكلمة **وصف يدل على الجمال**، الإشكال أن الكلمة وصلت لها على أنها وصف لها، فحينما تعلم أنه في السماء فتحتاج إلى مسافة للانتقال، ولو زدنا الأمر إشكالًا وتشويهًا، ورسمنا لها القمر بعيون وأنف وجعلناه يتكلم نكون بهذا قضينا على الآية تمامًا، فالخطأ الأول يمكن أن تحل المشكلة معه، ونفهمها أنك أنت في جمالك تشبهين القمر الجميل، ولكن عندما نجعله يتكلم أو له عيون، تصبح الآية التي جعلها الله في كتابه، بتكرار، آية على كماله وعظمته، تصبح لا شيء عند الطفل! ويكون تعديًا على حق الله، وتكون الثروة اللغوية عند الطفل قد أصبحت مشوشة، الأسماء ما تعبر عن الأشياء، يعني الكلمات ما تعبر عن الحقائق بالنسبة إليه؛ لذلك لابد لنا من مراعاة الكلمات. ما الذي نبدأ به، مثلًا القمر المفترض أن نعرفها أولًا أنه في السماء، ثم نتغزل فيها كما نريد، نقول لها: يا قمر لا مشكلة، لكن بعد ما تعرف أن القمر آية، ولا تدخل في بعد عن مكانته وحقيقته. على كل حال، هذه مسألة تحتاج في الواقع إلى مراجعة.

أكثر شيء أوصلنا للضعف هو الضعف في الثروة اللغوية؛ لذلك عندما أنقل له حقائق ليس فيها كلمات، حقيقية صحيحة في مكانها، طبعًا مع ازدواجية اللغة وثنائية اللغة زاد الأمر بلاء، وأصبح الخنجر الذي طُعن به ظهر المسلمين اللغة الثانية خنجرًا سمم عقيدتهم؛ لأن المسلم أصبح لا يستطيع أن يعبّر بلغته عن الحقائق، ولا يستطيع أن يستعمل لغته في فهم الحقائق، طبعًا خطوة بخطوة سيصبح القرآن صعبًا عليه،خطوة بخطوة يستسلم لكل شيء بعيد عن لغته، إن **العدوان على**

اللغة عدوان على الدين، والناس لما أرادوا **أن يحيوا حضاراتهم أحيوا لغاتهم**، نحن نحيي هذه اللغة ليس تعصبًا للغة العرب إنما لأنها هي اللغة **التي تكلم بها رب العالمين واختارها على كل اللغات**، فكون الناس يشعرون بدنوها، فقد أصيبوا بمقتل، وصل العدو إلى ما يريد في أن الخلق الذين امتنّ عليهم بلغة العرب وأصبح لسانهم مستقيمًا فصيحًا، ما يعتزون بنعمة الله التي أنعم بها عليهم، ومن ثم ستنقطع صلاتهم بكثير من الحقائق التي يقرؤونها في كتاب الله.

إذًا، الاستجابة عند الطفل تكون متأثرة باللغة التي عند الطفل، **فكلما زادت الثروة اللغوية عند الطفل زادت استجابة الطفل، وكلما ضعُفت الثورة اللغوية عنده ضعُفت الاستجابة لديه**. ولابدّ من أن نعرف أن القراءة للطفل تبدأ من عمر ثلاث وأربع وخمس سنوات وهي من طرق تقوية ثروته اللغوية، فيجب أن نعرف ماذا نقرأ له؛ لأنه في الوقت الذي نحكي له أو نقرأ له سيلتقط مجموعة من الكلمات القوية، ومن ثم تصبح هذه الكلمات هي الصلة بيننا وبينه لإيصال الحقائق.

لو لم توجد لغة فلن توجد حلقة وصل بيننا وبينه؛ ولذلك إذا نظرنا للأبناء الذين دخلوا مدارس لا يتقن الآباء والأمهات لغتها، لابد أن يكون هناك انقطاع ثقافي بين الآباء وبين الأبناء، نتيجة اختلاف اللغة، فتتكوّن ثقافة أخرى ويصير شخصًا آخر، هذه حقيقة، بدليل أن الله كرّر علينا في كتابه أن القرآن نزل بلسان عربيّ مبين، فهذا اللسان العربيّ المبين هو الذي يفصح عن المعاني الموجودة في كتاب الله.

4. أنه يخزن ردود فعله للمواقف المناسبة:

إن الطفل عندما نقول له الحقيقة لا يناقش مادام ليس فيه تعارض، لكن سنفاجأ أن هذا الذي تعلمه، سيستعمله في الوقت المناسب، لن نقيس استجابة الطفل بالوقت الحالي، فلا تقول: أنا أكلم شخصا لا يفهم إنما تظهر استجابته في الوقت المناسب.

ليس كل الأطفال يشعرونك بردة فعلهم أو استيعابهم للأمور، فمثلا لو كانت معلمة تعطي درسًا لطالبات كبيرات هل كل الطالبات لهم ردة فعل واحدة أنهن فهمن؟! لا، ليس شرطًا أنهن كلهن يظهرن لها أنهن استوعبن، هناك كثير منهنّ يكنّ موجودات واستوعبن لكن ما تظهر عليهن استجابة.

هكذا الأطفال ليسوا على مستوى واحد في إظهار استجابتهم، لكن عدم إظهارهم للاستجابة لا يعني أنهم لم يستجيبوا، هم يستجيبون، بالتأكيد؛ لأن الذي نتكلم عنه في الإيمان بالغيب يشبع حاجة في داخل نفوسهم. وكما أسلفنا فإنّ **المسائل المتصلة بالغيب كالغذاء لهذه الفطرة** تحتاجه لتشبع. هو يستطيع وهو صغير أن يبكي فيشعرك بحاجة بدنه

لكن إلى أن يكبر لا يعرف ماذا يقول لك، حتى يقول لك: هذه روحي تحتاج إلى هذه الحاجة؛ فالله جعل الإيمان بالغيب هو المشبع لحاجات هؤلاء الصغار بل لحاجات الخلق كلهم وترك الأبناء لينين سهلين قابلين مستجيبين للآباء كل الفترة الطويلة هذه، يعني منذ أن يفهم الخطاب ويرد الجواب أيًّا كان عمره، سنتين ثلاث سنوات، فبعض الأطفال من عمر سنتين يفهم الخطاب ويرد الجواب، وبعضهم من ثلاث سنوات وبعضهم من أربع سنوات، نتصور أنه من **ثلاث أو أربع إلى اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة سنة** وهو مستعد أن نغذيه من جهة الغيب. فكما أننا نغذي أبدانهم وهم يشعرون وقت ما يحتاجون إلى تغذية الأبدان، المفترض أن نغذي أرواحهم. ونعرف أنهم هم بأنفسهم لا يستطيعون التعبير عن حاجاتهم إلا بطريقة واحدة **وهي السؤال**.

وهناك بعض الأمور لا يستوعبون أنهم محتاجون إليها فلا يسألون عنها، سنضرب مثالًا بالمسائل الحسية، الآن الطفل يشعر بأنه جائع، أي شيء تعطينه إياه مفيد أو غير مفيد يأكله، يسدّ جوعه، يسكت، لكن لا يقول لك: لا، المفترض أن تعطيني فيتامينات المفترض أن تعطيني حديدًا المفترض أن تعطيني كذا، لا يقول لك هذا، يعني أي شيء يسدّ به جوعه يسكت، المهم أنه يشعر بالشبع، لكن الطعام الذي أكله قد يكون صالحًا وقد لا يكون صالحًا، فهو ليس عنده مشكلة.

في أحيان كثيرة يكون عنده نقص في أشياء كثيرة لكن لا يعرف أن يقول لك: أنا عندي نقص حديد نقص فيتامينات، لا يعرف أن يقول لك هذا. تصوروا الشيء نفسه في روحه، عنده حاجة شديدة في روحه، عنده جوع وعنده عطش في روحه وليس عنده تعبير عن هذه الحاجة **إلا بالسؤال** عن بعض الأشياء التي يستطيع أن يعبر عنها، وعندما تصبح عنده **إعاقة في اللغة** تزيد المسألة صعوبة أن يعبر لك عن هذا الشيء الذي يدور في داخله لكنه لا يستطيع التعبير عنه، يصبح في مسألة الروح كالطفل الصغير الرضيع الذي عندما يجوع يبكي فقط، يبكي بصوته ولا يعرف أن يعبّر أو يقول: أنا جائع. حتى عندما يكبر لا يعرف أن يعبّر أو يقول لك:

- أنا روحي تحتاج إلى الإيمان بالغيب.
- تحتاج إلى أن يكون لها ركن شديد.
- تحتاج إلى أن تعرف ما هي الغاية من الحياة.

لا يعرف أن يقول لك هذا الكلام، فيسأل بعض الأسئلة المتقطعة التي تصف قوة حاجته، لكن علينا أن نعلم أن الله–عزّ وجلّ–خلقه على خلقة تستلزم الإيمان بالغيب، تحتاج الإيمان بالغيب.

فهذه الخلقة المفترض يكون أمامها **إشباع**، فجهدنا كله في إشباع هذه الحاجات سواء:

- بدأنا هو بالسؤال.
- أو بدأناه نحن ببعض النقاشات التي توصله إلى ذلك.

والأطفال في استجابتهم ثلاثة أنواع:

1-الانعكاسي: تعطيه يعطيك مباشرة، تعلمه يعطيك مباشرة، بمعنى علمته كلمات يأخذ الكلمات ويستعملها في أول موقف حتى لو لم يكن مناسبًا، المهم أنه مباشرة يعطيك، تشهد عطاءه. وهذا النوع يفرح به الآباء والمربّون لأنه بمجرد ما تعطيه يعطيك بالضبط، كأنه هو الفاهم.

2-المرآة: كأنه مرآة، متى ما واجهته أعطاك، عندما نسأله ونستخرج المعلومة يعطينا، ما يتكلم إلا عندما نواجهه، أو نطلب منه.

3-البئري: أكثر نوع نظلمه كأنه البئر، لا يتكلم بالمعلومة إلا عندما يمتلئ، ثم يخرجها كأنه يصنعها صناعة، وغالب الناجحين في حياتهم يكونون من هذا النوع ويوفقون، لا يستعجلون، بل ينتجون المعرفة. تشعر كأنك ما أعطيته، لكنه بعد زمن ينتج المعرفة، لا يخرجها بقالبها نفسه إنما يكون في مواطن حكيمًا، وفي مواطن أخرى يكون ممتنعًا عن كذا، يمتنع عن الخطأ، يفكر بطريقة سليمة، رغم أنه ما يعطيك المعلومة نفسها التي أعطيته إياها.

من هذا يتضح لنا أن مقاييسنا يكون فيها شيء من الخطأ، عن تفاعل الصغار، قد يتفاعلون تفاعلًا يجعلنا نشعر بأنه غير فاهم، فيجب أن لا ننخدع بالانعكاسيين ونرى أنهم هم الأذكياء الذين يفهمون؛ لأن الأنواع الأخرى يستفيدون مما أعطيتهم مهما كان، والله-عزّ وجلّ-يبارك في الجميع، لا يكون الناس صفة واحدة لا في إرسالهم ولا في استقبالهم.

عن ماذا يسأل الطفل؟

تختلف أسئلة الأطفال وتتنوع، فنجد أنهم من ثلاث سنوات إلى قرب سن البلوغ، يسألون عن كل شيء يحيط بهم من **محسوسات**. ويسألون أيضًا عن **الغيبيات**، وفي الغيبيات يسألون عن أصول الإيمان الستة (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر). وهذه الأسئلة تعتمد على مقدار **التغذية الابتدائية**، في المعلومات، على حسب ما تعطيه من معلومات سيرتجع عليك في الأسئلة، فهو يبتدئ الأسئلة وتكون بمثابة التغذية المرتجعة. وعلى العموم فإن الطفل:

- يسأل عمّا يحيط به من المحسوسات وهذا شيء طبيعي.
- ويسأل عن الغيبيات.

فعندما يسألون عن الأشياء المحسوسة حولنا، دائمًا من خلال المحسوسات نستطيع أن نصل للإيمان بالغيب؛ لأن كل المحسوسات حولنا لابدّ أن توصلنا إلى ربنا، بل نحن نسمع في كتاب الله مثلًا في سورة الروم: {وَمِنْ آيَاتِهِ...وَمِنْ آيَاتِهِ..} هذه الآيات التي ربنا يخبرنا عنها ومن آياته يعني بعضًا من آياته، آية يعني علامة على وجود الله وعلى صفات الله أيضًا، فكل الموجودات حولك الشهادة (المحسوسة)كلها تقول لك من هو الله، فمعنى ذلك لما يسألون عن المحسوسات سواء كانت من فعل الله أَم من فعل المخلوقين سنرجعها مرةأخرى ونكلمه عن الله، وإذا سأل عن الغيب يعني سأل سؤالًا مباشرًا، المفترض أن نجيب عنه.

إذًا، سؤالهم عن الغيب هذا واضح أن المفترض نجيب عن المسألة الغيبية، لكن سؤالهم عن الشهادة يعني المحسوسات، المفترض ماذا نفعل به؟ نرده إلى الله سواء كان فعل الله أو فعل المخلوقين، يسأل عن المطر، يسأل عن الجبال، يسأل عن الزرع، يسأل عن كذا وكذا من الأمور، هذه كلها لابد أن نرجعها إلى الله–عزّ وجلّ–أو يسأل عن أفعال المخلوقين: صنع الطائرة، الخبز، كل هذه نرجعها لأصلها؛ لأن هذا المنهج من قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}[1] عندما نفكر في هذه الآية نفهم أن المفترض أن الذي يُحرث وأضعه على طاولتي وآكل منه، هذا الذي يحرث إنما أصله من أين؟ نرده إلى أن نصل إلى الله. فهذا التفكير ممتع بالنسبة للطفل، ليس شيئًا صعبًا بل ممتعًا تمرينه على رد الفرع الذي بين يديه إلى الأصل الذي هو من عند الله، وهذا التمرين أسهل عليه بكثير من أن يحفظ جدول الضرب وأسهل عليه بكثير من أنه يصير في المرحلة المتوسطة ويأخذ المثلثات ونظرية (فيثاغورس)! أسهل بكثير عليه. بمعنى أن عقله يستطيع أن يستوعبه فهناك مَن يأتي عند هذا الموقف ويقول لا هذا شيء خيالي بالنسبة للطفل. لو استعرضنا مناهج الرياضيات والعلوم في المرحلة الابتدائية والمرحلة المتوسطة وقبلنا أنها تدرس في هذه المرحلة وقلنا إن عقل الطفل يتحملها، إذًا، سنقول عقل الطفل سيحتمل هذه الأمور السهلة اليسيرة الفطرة أصلًا تؤيدها وبحاجة إليها؛ لأنه دائمًا عندما تأتي أطروحات الغيب يأتي الكلام من البعض إن هذا فوق عقل الطفل! أو هذا يعني شيء كأنه ليس في هذا العصر! هو الطفل نفسه خُلق بالخلقة نفسها وستبقى حاجته هي الحاجة نفسها، **بل في هذا الوقت هو محتاج أكثر** لأن الأنين الذي نسمعه من الشباب والشكوك وكلمة الإلحاد التي ما كنا نسمعها حتى عهد قريب، هذا كله يزيدنا عناية ورعاية لهذه

(1) [سورة الواقعة: 64:63]

المسألة، ويزيدنا تحرّكًا للمسؤولية لأن الذي نزرعه الآن سنحصده غدًا شوكًا مرًا، إذا لم نزرع اليوم الإيمان بالغيب غدا نحصد أسئلة الشكوك وليس أسئلة طلب المعرفة.

- ففي مرحلة الطفولة، غالبًا، الأسئلة تكون طلبًا للمعرفة.
- وفي مرحلة البلوغ وما بعدها ـ إلا إذا سلّمه الله ـ تكون الأسئلة مطروحة على باب الشكوك وليس على باب طلب المعرفة. فينبغي أن نكون على حذر من **أن تمرّ الفترة الصحيحة لبناء هذا الطفل** ويكون في النهاية أسئلته على باب الشكوك–نعوذ بالله من الشك والشرك والنفاق–اللهم آمين.

على كل حال، سيسأل عن المحسوسات، وأنا أستفيد من سؤاله عن المحسوسات، وسيسأل عن الغيبيات مباشرة سأستفيد مباشرة من سؤاله عن الغيبيات. إذًا، هذا عماد عندنا في مسألة الإيمان بالغيب. المحسوس الموجود بين أيدينا يدلنا على رب العالمين، هذا المحسوس يدلنا على رب العالمين، كيف؟ هذه الجبال، الأنهار، الأشجار...إلى آخره بالتفصيل، حسنًا وأفعال الإنسان؟ وأفعال الإنسان كل طائرة أيًّا كان شكلها ستكون تشبه الطير، وهم بنفسهم صانعي الطائرة إنما شبهوا هذه الطائرة بهذا الطير، ثم في الطير ما يفوق الطائرة من جهات كثيرة، ثم هذا المعدن الذي في الطائرة، وهذا العقل الذي عند الإنسان، وهذا البترول الموجود فيها، وهذا وهذا..كل شيء بالتفصيل من أين أتى؟ من رب العالمين. فيبقى أن نرُدِ كل فرع هنا إلى الأصل نريد أن نعلّمِه علومًا، نريد أن نعلّمِه تفاصيل عن المسائل العلمية، لا بأس لكن هذا كله مما **باركه الله في الأرض**، يعني كل المعادن التي في الأرض الناس يستعملونها، ماذا سنقول فيها؟ نقول مثلما قال الله في سورة فصلت: {وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ}[1]. فكل هذا **من آثار بركة الله في الأرض**، فهذه كلمة الله {وَبَارَكَ فِيهَا} من الكلمات التي نستعملها في مواطن كثيرة أن هذا من بركة الأرض، كلّما أخذ الناس منها وجدوا غيره، كلّما أخذوا منها وتقدموا وجدوا غيرها وغيرها. يعني الآن عندما نريد أن نقول البترول، ماذا يعتبر البترول؟ يعتبر من آثار بركة الله في الأرض، فالله–عزّ وجلّ–بارك في الأرض فأخرج في كل زمن ما ينفع الناس. والبركة معناها الزيادة والنماء فتأخذين منه ويزيد وتأخذين منه فيزيد، والله–عزّ وجلّ–جعل في الأرض خيراتها {وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ}. ففي كل زمن يقدّر لأهل الزمان أقواتًا لا تنفد حتى تقوم الساعة، فالله يقول لنا ماذا في الأرض، فلا تأتيك هذه المسائل المتصلة بالحضارة وتظنين أن الحضارة منفصلة عن الإيمان بالغيب، **بل الحضارة نفسها تدل على الغيب**، فالمؤمن بسهولة يستطيع أن يجعل الحضارة إشارة للإيمان بالغيب والذي يفصل بين الدين والحياة، هو الذي يجعل الحياة شيئًا والحضارة شيئًا والإيمان بالغيب شيئًا آخر! وهذا الذي نسعى لبيانه لأن هناك جريمة تُرتكب في حق

(1) [سورة فصلت: 10]

المسلمين، أن يشعروهم أنكم إذا استقمتم فمعناه اذهبوا إلى الآخرة! تريدون أن تعيشوا الدنيا اتركوا الآخرة! وهذا كذب بل كل شيء في الدنيا يقول لك: هلم إلى الآخرة، كل شيء في الدنيا يقول لك كل شيء تستفيد منه في الدنيا عندما تستعمله يقول لك: **هذا من عطاء الله، هذا من بركة الله** وعندما تنتفع منه تقول: الحمد لله. وعندما تريد المزيد تطلب من الله، فمالك في الدنيا **إلا الله، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، أعطانا، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، ينفعنا بما أعطانا**. فالشاهد أنه لا تنفصل عندنا الحياة وما فيها من حضارة عن الله وعن لقاء الله وعن كمال صفات الله، بل ما وصل إليه الخلق من حضارة من الدلائل على كمال الله؛ لأنهم إذا بدؤوا شيئًا من غير شيء ممكن يقولون بدأنا من غير الله! لكن الحقيقة أنهم ما بدؤوا شيئًا إلا بما أنعم الله، والله هو الذي أعطاهم العقول وقدر لهم القوة من أجل أن يصلوا إلى هذا، فالحمد لله رب العالمين، الحمد لله أننا مؤمنون، الحمد لله أننا نعرف كيف **نرد المسائل إلى أصولها**، ونعرف كيف أتت، ونعرف كيف تزيد، وكيف تبارك، وكيف ننتفع بها. نسأل الله-عزّ وجلّ-أن يزيدنا وذارينا الإيمان، اللهم آمين. وبناء على هذا نجد عدة أساليب لأسئلة الأطفال:

- **الطفل يبتدئ السؤال:**

يسأل عن الله أو الملائكة أو غيرها من أركان الإيمان، السؤال عن الله ابتداء من الطفل إنما يكون بالسؤال عن أفعاله، الذي يثير الطفل **أفعال الله**، ويكون في جوابك الكلام عن الله، **لفت نظره فعل من أفعال الله**، فيكون جوابك هو الكلام عن الله.

مثال1: طفل لا يعرف شيئًا عن الله في هذا الموقف، ثم يسأل عندما يرى الفعل، طفل ثلاث أو أربع سنوات يسأل عن المطر، المطر نزوله عنده يشبه نزول الماء من (دش الحمام) إلا أن هذا مساحته غير هذا، توقف المطر سيقول من قفله؟ هذا المتوقع لو يوجد مساحة للأسئلة، هو يسأل عن الفعل فهذه فرصتك أن تجيبيه عن الله، يسأل عن فعل الله فتكون الإجابة عن الله، ففرصتنا أن نتكلم عن الله، وهو سؤال غير مباشر عن الله، عندما رأى الفعل أثاره، أول ما يثيره الفعل فيكون ردنا عن الله.

مثال2: نمشي في الرصيف ويرى نبتة وسط الرصيف فتلفت نظره فيسأل: كيف خرجت؟ مَن أخرجها؟ هنا فرصة للكلام عن الله. جاء السؤال **لأن فعل الله لفت نظره**، وهكذا كل واحد فينا يرى على حسب حالته، هو في وادٍ ويرى السيول، أو هو في سهل، أو عند البحر، على حسب حالته والمكان، وحسب أفعال الله-عزّ وجلّ-يثار هذا السؤال ويكون الجواب عن الله.

وهنا يحسن في هذا الموقف أن يكون هناك **استشهاد بكلام الله**، وليس شرطًا أن نحفظ كلام الله، وكأننا خطيب في المنبر، عندما يسألنا نجيبه ونقول: يقول الله تعالى، هذا ليس شرطًا، ممكن أن نفتح المصحف ونقول له: تعال نبحث عن الآيات التي تتكلم عن المطر، عن الزرع. نقول له: هذا المعجم المفهرس لألفاظ القرآن نبحث فيه عن كلمة: (شجر)، عن كلمة (حجر)، (مطر)، بحيث إن **النتيجة أن يعرف أنه يوجد كتاب يجب أن نعود إليه**. لا نتصور أنه مطلوب منَّا أن نكون الخطيب المفوّه، الذي يعرف كل شيء، الطفل ينبغي أن يتأكد من أن هناك إجابة، هناك مرجع، كتاب، مكان يستطيع أن يصل إليه.

- نوع آخر من أنواع الأسئلة (تغذية رجعيّة):

تكون أنت بدأتِه بالكلام عنه، تغذية رجعية، **مثال**: نقول له بعد ما ينتهي من طعامه: اشكر الله، الله رزقنا، **إذًا أنت لفت نظره إلى أن هذه النعمة إنما هي من الله**، هو سيسألك: كيف رزقنا؟ نتكلم عن سلسلة من العطايا، الخبز مثلًا: ما أتى إلا من الخبّاز لما عجن العجين، إلى أن نصل إلى أول السلسلة، **إعادة الفرع إلى الأصل، وهذا نوع من أنواع الإجابات**، الذي يلمسه بيديه يكون مصنوعًا، وطوال الوقت نرد الفرع إلى الله، نتكلم عن الله، قصة الخبز أسهل مثال: الخبز أتى من القمح المزروع: نتكلم عن الزراعة بكل تفاصيلها عطية من الله، إذًا الأرض من الله، إن كان الحب فمن الله، إن كان المطر فمن الله، الحراثة من الله، العبد لا حول ولا قوة له إلا بالله، زرع وحصد كله بحول من الله وقوة، ثم أتى إلى هذا وطحنه، هذا بحول وقوة من الله، ورزق من الله، ثم عجنه بحول وقوة من الله، النار الله أعطانا إياها،الخباز أعطاه القوة الله لفعل ذلك. ثم ما رُزقنا إلا من رزق الله. هذه السلسلة الطويلة قد يفقد شيئا من أطرافها، كلما كان أصغر سيفقد شيئًا من أطرافها، غدًا سنقول الكلام نفسه، وبعد غد سنقول الكلام نفسه. حتى تتضح السلسلة، وهذا يسمى **إعادة الفرع إلى الأصل**، وهذا أكثر شيء يسير مع الأطفال، كل شيء بين يديه ينبغي أن نرجعه الى أصله؛ لأن الاغترار بأفعال الناس سببه أننا ما قلنا لهم أن أفعال الناس جاءت من الله، يكفينا ما جاء في سورة فصلت، أخبر أنه بارك فيها، قال أهل العل:م "إن أقواتها باقية"، وقدر فيها أقواتها، معناها "أن كل ما يحتاجه الإنسان باق فيها إلى يوم القيامة"، فجعل فيها البركة بحيث كلما احتاجوا شيئًا وجدوه فيها، مثلًا الكهرباء من آثار مباركة الله للأرض؛ لأن الله جعل الأرض مباركة، وجعل الناس قادرين على الاستفادة من بركتها، فهذا البرق الذي هو أصل الكهرباء أظهر للناس قدرتهم على إيجاد الكهرباء، وكل هذه السلسلة إنما أتت من عند الله، فهذه من آثار بركة الله.

الأسئلة التفصيليّة:

1. السؤال عن الله:

في أثناء ذلك، من المؤكد أنه سيسأل أسئلة تفصيلية، هنا سيزيد الكلام، مثلًا الكلام عن الخبز، الكلام عن اسم الله الرزاق لابد أن يتكرر، (رزقنا) هذه الكلمة التي فيها عبادة وترده لاسم الرزاق. لما ابتدأنا نعرفه عن الله وأنه الذي يعطي ويمنع وهو يرزق، سيبدأ عنده حالة من الفضول المحمود أن يعرف من هو الله، هذا يحتاج **لاستعداد لمعرفة الله والتعريف به**، فنضع أمامنا **ثلاثة نصوص أساسية:**

الأساس الأول: سورة الإخلاص.

الأساس الثاني: قوله تعالى:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).

الأساس الثالث: أسماء الله في سورة الفاتحة.

❖ الأساس الأول سورة الإخلاص:

هذا النص المهم إطلاقًا، سنحتاج إلى تفاصيله:

- تفاصيل اسم الأحد.
- الصَّمَدُ.
- (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ).
- (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ).

نفي الكفء نفي الند، الأحدية الصمدية، لابد من أن نستعد بمعرفتها لتعليم الطفل الذي بدأ يعرف أسماء الله، لابد أن يعرف عن الله أنه واحد، خصوصًا عندما يتعلم أسماءه. من الإشكالات عند الأطفال أننا عندما نقول له: ربنا غفور، رحيم، كريم، ماذا يتوقع؟ كثير من الأطفال يتوقعون التعددية، يعني (غفور) وحده، و (رحيم) أحد ثانٍ، بهذه الطريقة، لا يعتقد أنها صفات لله، وهذا كثير ما يحصل لأن تفكير الطفل محدود، لكن هناك أطفال لا يتوقعون ذلك، لا بأس، هذا على وجه العموم ممكن أن تحصل هذه المشكلة، الأحدية والواحد من أهم الأسماء التي يجب أن يفهمها، ماذا سنقول في (الصمد)؟ الاسم فيه شقّان:

- أحدهما وصف لله.
- والآخر وصف لما يكون من الخلق لله.

يعني الصمد الذي لا يحتاج لأحد، وكل أحد يحتاج إليه، فهذا المعنى أنه لا يحتاج لأحد بالأمثلة المتكررة، ستجعل الله ركن الطفل الشديد، الذي كلما احتاجه فزع إليه، لكن يتطلب منا تكرارًا في كل المواطن.

❖ **الأساس الثاني قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ):**

الطفل عندما يسأل عن الله يتصور أنه لابد أن يشبه أحدًا لأن العقل لا يستطيع تصور موجود إلا عندما يكون له مثيل، فنحن نبقى نقطع هذا، ونوصله الى حد اليأس أن يكون لله مثيل، ونبقى نكرر الجملة بتفصيلها أنه ليس كمثله شيء.

❖ **الأساس الثالث: أسماء لله في سورة الفاتحة:**

سنعرف الطفل على: الله، الرب، الرحمن الرحيم، هذه أساسيات لنعرف الطفل بالله، سنعرفه أن الله أحد، وأنه صمد، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه لا يكافئه أحد، سنقول كلامًا إجماليًا وبعده التفصيل، لابد أن تتعلمي؛ لأنك لو ما تعلمت سيكون من الصعب إيصالها للطفل، والمسألة الثانية: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) يقطع تمامًا التشبيه، هو يحتاج أن يكرر ونحن نكرر، ثم يتعرف الطفل على: الله، الرب، الرحمن الرحيم، وإن كنا نقول إن لفظ الجلالة (الله) سيأتي التعرف عليه في مرحلة متقدمة.

2- الكلام عن اليوم الآخر

لماذا الكلام عن الله ثم اليوم الآخر؟ هذا أمر يتصل بحقيقة الدنيا، يعني أنت في حقيقة الدنيا مطلوب منك أن تعرف الله وتعرف أنك ستلقى الله، يعني هذا الصغير، من الأشياء المهمة أن يعرفها: أن يعرف أنه في الدنيا ليس لاعبًا، غير مغفول عنه، قبل أن نكلمه عن مسؤولية عمله ينبغي في أثناء معرفة الله أن يتيقن أنه لابد أن يلقى الله، **لو أحسنا في إيصال المعاني للصغير سيكون في قلبه شوق للقاء الله!** لو أحسنا هذا العطاء، إذًا هذان الأمران متصلان بعضهما ببعض، تعرفه من هو الله ولابد أن نلقى الله، في التعريف دائمًا نقول له: نلقى الله فيأتي مفهوم الموت دائمًا. وهذه المفاهيم يسيرة جدًا إذا أحسنا عرضها.

سنتكلم عن لقاء الله (اليوم الآخر) ومن أهم المفاهيم في لقاء الله: **مفهوم الموت**، فيعرف الموت بطريقة **لا تجعله ينزعج من معرفته للموت**، ثم لابد أن يعرف أن كل الأعمال التي يعملها سيجدها، سيجد أعماله. بما أن هناك لقاء الله فينبغي أن يحصل شيء لكي تلقاه، وفي لقاء الله الأعمال التي فعلتها ستجدها. ثم ندخل له مفاهيم أكثر دقة.

3- الكلام عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-:

ثم يأتي الكلام عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-والصلة يسيرة: أنت أعمالك التي تفعلها هنا تجدها هناك، والرسول-صلى الله عليه وسلم-أرشدنا لهذه الأعمال التي يجب علينا أن نعملها. في ركن الكلام عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-لابد أن يجتمع أمران:

ما معنى أن الرسول-صلى الله عليه وسلم-عبد؟

وما معنى أنه رسول-صلى الله عليه وسلم-؟

عبد: لكيلا يتصور أن كلامنا على الرسول ومدحنا وصلاتنا عليه وسلامنا عليه-صلى الله عليه وسلم-، يعني أنه يرتفع بمنزله الله جل جلاله فيحصل عنده التباس في الأعمال؛ لذلك تجدين أسئلة من الطفل مثلًا: هل الرسول يقدر ينزل المطر مثل ربنا؟ الرسول يفعل كذا؟ تلتبس عليه لأنه مع الطرح لا يراعي أن يضع الرسول-صلى الله عليه وسلم-في منزلته، يأتي تعظيم الرسول-صلى الله عليه وسلم-فينتقل إلى منزلة الله جل جلاله، ولكن لابد من إعادة تكرار أنه عبد لله وأن الله أرسله، فلابد من **بيان أنه عبد وأنه رسول**-صلى الله عليه وسلم-. هذه المعلومات تكفي الطفل عند **سبع أو ثمان سنوات أن يعرف أنه عبد وأنه رسول ويشهد بذلك**، وكلمة الشهادة من الكلمات التي تدور، وإن شاء الله يتضح معناها.

4- الكلام عن الملائكة والكتب:

يأتي الآن الكلام عن الملائكة: نحن نحتاج إلى أن نكلمه بالإجمال عن الملائكة:

- وأنهم خلق خاص.
- ومن أعمالهم النزول بالوحي، ليتصل بالكلام حول الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

ويأتينا الكلام عن الكتب: متصلة بهذا الأمر، يعني الكلام عن الله وعن الرسل والملائكة في سياق واحد. نتكلم عن معرفة الله وأثناء الكلام عن لقائه نتكلم عن الملائكة ونزولهم بالوحي على الرسل، وأن هناك كتابًا يجب تعظيمه.

5- الكلام عن القضاء والقدر:

تبقى المشكلة الكبيرة وهي الإيمان بالقضاء والقدر. وهي مشكله لأنها عند الوالدين مشكلة، فتأتي مشكلة في فهمه، نختصر الكلام عن الإيمان بالقضاء والقدر بحديث النبي-صلى الله عليه وسلم-: (عجبًا لأمر المؤمن أمره كله له خير..) بيانه وتفصيله يكفينا في الحديث عن الإيمان بالقضاء والقدر.

الكلام عن الشيطان:

ثم يأتينا شي مهم جدًا وهو الكلام عن الشيطان وعداوته، هذه من الأمور الغيبية التي لابد من الكلام عنها بشيء من الإجمال بشروط، نجمل ونتكلم بالأدلة، نحاول أن تكون اللغة واضحة بيني وبينه، لابد أن نتكلم عن الشيطان وعداوته وما السبب في خلقه، هذه معركة عند الصغير لن يتصورها إلا عندما نفهمه أن هناك عدوًا، هذا لا بد أن يلحقه أن يعرف أن له وظيفة في هذه الحياة، فنتكلم عن البلاء بشيء مختصر، البلاء بمعنى الاختبار، يعني أنت موجود هنا للاختبار بكلام يسير سهل، إن الذي يريد النجاح يتبع الرسول، وإن الذي يفشل يتبع الشيطان، والكلام بسهوله عن الوسواس، كلام يسير، كلمة مجملة، أن المعاني التي وصلنا إليها ونحن كبار هي المطلوب إيصالها إلى الصغار، كلمة كلمة، وهو يزيد في العمر، فالكلمة موجودة فتتسع، لكن ما لم تكن موجودة فهذا هو الإشكال.

إذًا إجمالًا نحتاج في الكلام عن الإيمان بالغيب هذه الأساسيات:

- نكلمه عن الله، وبهذه النقاط الثلاث: سورة الإخلاص، و(ليس كمثله شيء)، وسورة الفاتحة.
- ثم نكلمه عن لقاء الله، وكيف أنك ستجد ما تعمله.
- ونتكلم عن الرسل.
- وعن الملائكة وعن الكتب في جملة واحدة.
- وعن الإيمان بالقضاء والقدر، إذ لابد من أن يتصل به الكلام عن الابتلاء والاختبار في الدنيا.
- والكلام عن الشيطان، بأسلوب مجمل.

نماذج من أسئلة الصغار وكيفية الرد عليها:

السؤال عن ذات الله:

سنبتدئ، أولًا، بنوع من أنواع الأسئلة التي يسألها الطفل **وهو: السؤال عن ذات الله**-تبارك وتعالى-أي يسأل بطفولته عن شكل الله-عزّ وجلّ-يسأل عن مكان الله-عزّ وجلّ-، يسأل عن تفاصيل في الذات، فهذا يحتاج أن **نجيب عنه بثلاثة أمور أساسية، بعد ذلك ندخل في التفاصيل.**

❖ **الأمر الأول: ونحن نتكلم عن صفات الله أو عن مكان الله لابدّ أن يظهر في كلامنا التعظيم**، فلا نتكلم بأسلوب كأننا نتكلم عن أي أحد من الخلق! كأننا نتكلم عن أي شيء في الدنيا، إنما لابد أن نبدأ **بالتعظيم**، أي أننا نحتاج إلى هدوء، ونتكلم في الموضوع سويًا وهو في حالة من **التركيز**، نقول له: نكلمك عن الله العظيم، وسأقول لك أين ربنا، وسأقول لك كيف تعرف الله-عزّ وجلّ-الأمر الأول: لابدّ من أن يأتي الكلام عن ذات الله أو عن صفات الله من طريق شخص صفته معظِّم.

❖ **الأمر الثاني: أنه لابد أن أقرّر له ما قررته الشريعة بالأدلة**، فمثلًا النبي-صلى الله عليه وسلم-سأل الجارية، أين الله؟ هذا سؤال مباشر أين الله، فقالت في السماء. وسألها: من أنا؟ قالت: رسول الله قال: أعتقها إنها مؤمنة.[1] إذًا، معنى ذلك أنني سأستخدم اللفظ الشرعي الذي ورد في النص، يسأل: أين الله فأجيب: في السماء وأشير إلى السماء، لا مانع من ذلك لأن الجارية أشارت إلى السماء، والإشارة إلى السماء إشارة للعلو.

❖ **الأمر الثالث: كلما تكلّمت عن هذه الأسئلة التي تتصل بذات الله أو صفاته فلابدّ أن أقول الله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.**

---

(1) في صحيح مسلم عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: ((إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)) أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: ((فَلَا تَأْتِهِمْ))، قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: ((ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ)) قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ: فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ: ((كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ)) قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ: ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا: ((أَيْنَ اللَّهُ؟)) قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: ((مَنْ أَنَا؟)) قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: ((أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)).

هذه الأمور الثلاثة لابد منها مع مراعاة سنّ الطفل. كيف أراعي سنّ الطفل؟ أجيب على قدر السؤال عندما يكون صغيرًا في سن ثلاث وأربع أو خمس سنوات أجيب جوابًا محدودًا، ثمّ عندما يكبر قليلًا لا بأس من المناقشة أكثر، وكلما كبُر سمحنا له بمناقشة أكثر.

أمثلة لسؤال الطفل عن ذات الله:

1. لو سأل الطفل: هل لله عينان؟ هل ربنا يرانا؟

فمثلًا ممكن أن يسأل فيقول: الله له عينان[1]؟ وذلك عندما نقول له: ربنا يرانا، تأتي أحيانًا تعبيرات كثيرة ليست صحيحة، نقول: ربنا "يشوفنا" مثل هذه الكلمات، الصحيح ألّا نعبر عن صفات الله إلا باللفظ الذي جاء في كتاب الله أو في سنَّة الرسول الله–صلى الله عليه وسلم–، هذا الصحيح ألّا نتكلم إلا بما ورد به النص. يعني باللفظ نفسه يسأل هو ربنا "يشوفنا"؟ نقول له: نعم، "الله يرانا"، وهو مباشرة يقول: يعني له عين؟ فنحن نعرف أنه ورد في النصوص أن الله له–سبحانه وتعالى–عينان ونثبت ذلك في معتقد أهل السنَّة والجماعة، فنثبت له ذلك، ونقول له: إن الله في كتابه قال هذا الأمر، وإن الرسول–صلى الله عليه وسلم–أخبرنا بذلك. لكننا سنرجع إلى مشكلة أساسية، أنني أنا نفسي كأم أو مربٍ ما أدري وما أعرف النص، وما أدري هذا ثابت أَم غير ثابت؟! فمن هنا تبدأ العلة أن الذي يربي هو نفسه ما يعرف! فمن ثم "سيخرف" فهذا يحتاج منا أن نستدرك الموقف. كيف؟ لابدّ أن نبحث، ولا مانع أن نبحث والطفل معنا، يعني نقول له: دعنا نرى ماذا يقول العلماء، ودعنا نرى ماذا في كتاب الله، دعنا نرى ماذا في سنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–؟!

ونبحث عن مصادر صحيحة ونقرأ معه، وهي ليست مناظرة بحيث عندما يسأل نجيب عليه سريعًا! فليس هناك مشكلة أن نؤخره إلى آخر الأسبوع، أو لبعد غد، أو نعده أننا سنجيبه، أقول له: أنا أتذكر سؤالك، أنا مازلت أبحث. يجب أن نحترم عقله، وكلما كبر كان الاحترام أحد **عوامل الثقة**، يعني هو سيثق في جوابنا إذا كنا نحترمه ونعتبره آدميًا عاقلًا ونناقشه فنقول له: ربنا قال في القرآن كذا، والرسول–صلى الله عليه وسلم–قال كذا، فربما رجع إلينا مرة أخرى وقال: ربنا "يشوفنا" هو يكرر، نقول: اسمع نحن اتفقنا أن ربنا يرانا قل: يرانا اترك "يشوفنا" وقل: "يرانا"، المرة الثالثة يأتيك ويقول

(1) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "في قسم العقيدة في مجموع الفتاوى: مذهب أهل السنة والجماعة أن لله عينين، اثنتين، ينظر بهما حقيقة على الوجه اللائق به. وهما من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب، والسنة. فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: {تجري بأعيننا}. ومن أدلة السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن ربكم ليس بأعور))، ((ينظر إليكم أزلين قنطين))، ((حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)). فهما عينان حقيقيتان لا تشبهان أعين المخلوقين. ولا يصح تحريف معناهما إلى العلم، والرؤية لوجوه منها:

أولًا: أنه صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل.

ثانيًا: أن في النصوص ما يمنع ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم: ((ينظر إليكم))، ((لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))، ((وإن ربكم ليس بأعور))".

"يشوفنا" نقول له مرة أخرى: "يرانا"، نقول: نعم، ربنا له عينان وهو "يرانا"، اتفقنا أن التكرار في حق هذا الطفل شيء مهم ولا نظنه ما اقتنع بل هو يريد أن نعيد عليه الكلمات نفسها بالأسلوب نفسه، واتفقنا أننا لا نغيّر كلماتنا، كلما زاد في العمر أعطيناه المزيد من الأدلة.

وقد يقول الطفل: حسنًا الآن يراني أو يرى الناس هنا ولا يرى هناك؟! وكيف يرانا من وراء سقف بيوتنا؟ فهو يقيس نظر الله بنظره هو، فنحن في هذا الأمر–وهو صغير–نعيد عليه، لا، نحن نظرنا ليس مثل نظر الله، الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ونعيد عليه الجملة التأكيديّة: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} سنعيدها عليه، ونقول له: إن نظر ربنا ليس مثل نظر الناس، نحن ما نرى إلا هذا الشيء إلا في هذه الحدود، لكن الله–عزّ وجلّ–نظره **محيط بكل الخلق**، نعيد هذه الكلمة، (محيط) يعني يحيط بكل الخلق، وكلما كبُر الطفل دخلت هذه الكلمة في الكلام. أول الأمر سنقول له: ربنا يرى كل شيء ولا سقف ولا غيره يمنع رؤيته. ربنا يرى كل شيء، ربنا في السماء يرى كل الخلق، هذا الكلام وعمره ثلاث وأربع وخمس سنوات، ثم نتقدم نتصوّر أن عمره صار ست أو سبع سنوات سنبدأ نقول له: الله يرى حتى الذي في قلوبنا. يكبر في العمر ويصل إلى عشر واثنتي عشرة سنة نقول له: الله يرى حتى النملة السوداء في الصخرة السوداء في الليلة الظلماء بل ويرى عروقها.

فكلما كبر زادت هذه المسألة كلامًا، زادت تفصيلًا. ونحن قاعدتنا طول الوقت ماذا تقول؟ تقول: الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} يعني نحن الآن نفهمه أن لا شيء يحجب رؤية الله. هذا الجدار يحجب رؤية الناس لأن هذا بصر الناس، لكن رؤية الله ما يحجبها شيء.

ثم نستفيد من الموقف، لنؤكد هذا المعنى، مثلًا، نقرأ في كتاب علمي وهو عمر ست أو سبع سنوات أن هذه الدابة أو هذا الحيوان يرى على بعد مثلًا كذا وكذا أكثر من الإنسان، وهذه مثلًا عندها قوة في سمعها كذا وكذا من الأشياء البعيدة، نحن نقرأ له ونقول له انظر كيف حتى الحيوانات ممكن أن يكون عندها قوة في بصرها وقوة في سمعها أعلى من قوة الإنسان، فالأشياء مختلفة في الحياة **في كون السماع ليس متساويًا بين المخلوقات**، فهذه المعلومة جيدة إذا عرف أن حتى المخلوقين أنفسهم ليسوا سواء، نستفيد منها في موقف بعيد، وسمع الله وبصر الله محيط بكل شيء. وكل مرة تقولين له إن الله محيط بكل شيء وكلّما كبر أصبحت كلمة (محيط) ذات معنى ومغزى.

فنحن يجب أن لا نبتعد عن ألفاظ القرآن، بل نستعملها ونثبت ما هو مثبت، ونجيب عن السؤال، حتى لو ظلّ يُلح ويقول: وكيف يرانا من وراء سقف بيوتنا؟ فنحن نعيد عليه ما قلنا: ربنا ليس نظره كنظر المخلوقين وهكذا.

2. لو سأل الطفل: هل لربنا أذن؟! هل الله يسمعنا؟

نقول: لا، ما أخبرنا الله عن ذلك، لا نعلم. يعني لا ننفي ولا نثبت لأن معتقد أهل السنة والجماعة هنا لا نفي ولا إثبات؛ لأنه ما وردت نصوص بذلك، فنحن نقف عندها نقول له: لا نعلم لأن ربنا غيب، ما رأيناه، أخبرنا رسول الله بالأخبار، ونعيد عليه هذا الخبر الذي وصلنا ونعيد عليه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.

أكثر شيء يشغل الصغار الصفة ما وصفها؟ فنحن نؤكد له أننا لا نستطيع أن نعرف الصفة لكن الله-عزّ وجلّ-له عينان. والله-عزّ وجلّ-لم يخبرنا أن له أذنًا[1] إذًا، نحن نعرف أنه يسمعنا، ونعرف أنه يرانا وأنه يرانا-سبحانه وتعالى-بعينين نثبتهما كما أثبتها لنفسه-سبحانه وتعالى-.

إذًا، هناك أربعة أمور مهمة:

الأمر الأول: أن نستعمل ألفاظ القرآن عند الإجابة عن سؤاله.

والأمر الثاني: أن نقطع عنه المماثلة بتكرار قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.

الأمر الثالث: أن نأخذ اللفظة الشرعية ونضع قاعدة: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ونستخدم هذه القاعدة في كون صفة الله مخالفة لصفة المخلوقين.

الأمر الرابع: أن نزيد في كل عمر معلومات أكثر في معنى الصفة بما ورد في الشرع بالتدريج، فكلما كبُر زاد معرفةً بالصفة.

---

(1) الأُذُن لله (بمعنى الاستماع صفةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالحديث الصحيح. الدليل: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((ما أذِنَ الله لشيءٍ كأَذَنِه لنبي يتغنَّى بالقرآن يجهر به)) قال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناده: "أما قوله: ((كأَذَنِه))؛ يعني: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبيٍّ يتغنى بالقرآن، حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى: وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ؛ قال: سَمِعَتْ. أو قال: استمعت. شكَّ أبو عبيد. يُقال: أذنتُ للشيء آذَنُ له أذَنًا: إذا استمعتُه...". وقال البغوي: "قوله: (ما أذِنَ الله لشيءٍ كأَذَنِه) يعني: ما استمع الله لشيء كاستماعه، والله لا يشغله سمع عن سمع، يقال: أذِنْتُ للشيء آذَنُ أذَنًا بفتح الذال: إذا سمعت له...". وقال الخطابي: "قوله: ((ما أذِنَ الله لشيءٍ كأَذَنِه لنبي يتغنى بالقرآن)) الألف والذال مفتوحتان، مصدر أذِنْتُ للشيء أذَنًا: إذا استمعت له، ومن قال: ((كإذنه)) فقد وهم". وقال ابن كثير بعد أن أورد حديث: ((لم يأْذَنِ اللهُ لشيء ما أذِنَ لنبي يتغنى بالقرآن)): "....ومعناه أنَّ الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو-سبحانه وتعالى-يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم؛ كما قال تعالى: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ الآية، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ؛ كما دل عليه هذا الحديث العظيم، ومنهم من فسر الأذَن ها هنا بالأمر، والأوَّل أولى؛ لقوله: ((ما أذِنَ الله لشيءٍ كأَذَنِه لنبي يتغنى بالقرآن))؛ أي: يجهر به، والأذَن: الاستماع؛ لدلالة السياق عليه....ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لله أشد أذَنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنةِ إلى قينتِه)). قال الأزهري في (تهذيب اللغة): "وفي الحديث: ((ما أذِنَ الله لشيءٍ كأَذَنِه لنبي يتغنى بالقرآن))، وقال ابن العثيمين رحمه الله: "قوله: ((ما أذِن الله لشيء ما أذِن للنبي صلى الله عليه وسلم)) ومعنى هذا الأَذِن: الاستماع للشيء، يعني ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي حسن الصوت، وفي رواية أخرى يتغنى بالقرآن يعني: يجهر به".

3. لو سأل الطفل: هل الله تعالى له (يدان)؟

الذي يجعله يسأل ذلك أننا نقول له: ربنا يعطينا، ربنا يرزقنا، ربنا كذا وكذا من الصفات التي تجعله يفكر هل ربنا له يد، خاصة عندما تقولين: ربنا يعطينا، ربنا أعطانا، فهو يرى أن العطية لابد أن تكون باليد، وهو في أصل تفكيره صحيح؛ لكن نحن الآن سنبين له كالتالي:

- **نثبت له صفة اليد** فنقول له: نعم الله-سبحانه وتعالى-له يدان، وهذا ثبت في الكتاب وثبت في السنَّة، ويداه مبسوطتان كما قال-سبحانه وتعالى-. حتى استعمالنا للدليل الصغير كلمة واحدة، وكلما كبر ستعطيه أكبر وأكبر وهكذا، وهو عندما يحفظ كتاب الله أو حتى سيقرؤه أو حتى سيسمعه سيبدأ يلاحظ ما نقوله. ومن جرب ذلك سيلاحظ هذا فيهم، أنّ أي شيء يلفت نظره له من ألفاظ أو معانٍ تتصل بصفات الله هو مباشرة يلاحظها وقت ما يسمع كلام الله أو وقت ما يقرأ.

- **سنقول له يد ربنا عظيمة** لا تستطيع تصورها لأن الله **{ليس كمثله شيء}**.

لابدّ من مناقشة الطفل وكما اتفقنا على أنه سيبدأ يتكلم عن الشَبَه، يعني يبدأ يقول: ما صفتها؟ كبيرة كم تكون؟ خصوصًا مع هذه الأفلام التي يرونها تصف لهم أشياء، فلابد أن نقطع هذا الأمر من نفوسهم. وكلّما تقدم في العمر ناقشناه في عدم المماثلة بطريقة، يعني لو وصل مثلًا عمر ثمانية أو عشرة سنبدأ نناقشه أن الله لا يمكن تصور صفاته، لماذا لا يمكن تصور صفاته؟ نستعمل هنا معنى اسم الأحد، أنت طول الوقت تقولين له **{ليس كمثله شيء}** ثم ستُدخلين عليه المفهوم الجديد الآن من سن الثامنة أو التاسعة على حسب فطنته بمعنى أحد، سنرى كيف نناقش هذا الأمر، كيف يدخل في قطع المماثلة بمعنى اسم الأحد؟ الآن نحن من أجل أن نعرف صفة أي شيء لابد أن يكون هناك **أحد ثلاثة عوامل**:

إما يرى بنفسه، يعني أنا لا أعرف صفة الشيء إلا إذا رأيته بعيني أو **رأيت مثيله** أو **أتاني خبر صادق عنه**.

نأتي نناقش ونقول له: ربنا لا أحد في الدنيا يستطيع رؤيته، فهو عندما يقول لنا: يد الله ما حجمها؟ يسأل هذا السؤال فنقول له: لا نستطيع أن نقول لك؛ لأننا ما رأينا ربنا في الدنيا. لا يستطيع أحد أن يراه في الدنيا، لكن عندما يتقدم قليلًا يعني اثنتي عشرة سنة. ولو كان فطن من عشر سنوات فسنقول له: لما أراد موسى-عليه السلام-أن يرى ربنا، قال له...ونحكي له القصة في كون الله-عزّ وجلّ-قال له إن استقر الجبل مكانه فسوف تراني. فمن عظمة الله الجبل ماذا أصبح؟ تفتت الجبل من عظمة الله وخرّ موسى صعقًا من عظمة الله، فمعنى ذلك ما يستطيع الإنسان في الدنيا أن يرى ربنا من عظمته، فما رأيناه. ولا ندخل الكلام بعضه على بعض نحن من ثمان إلى عشرة سنقول ما رأيناه وهو ليس له مثيل

ليس كمثله شيء لأنه واحد أحد ليس له مثيل، ولم تأتِنا أخبار عنه إلا عن طريق كتاب الله وسنَّة النبي-صلى الله عليه وسلم-، يعني الرسول نزل عليه الوحي وأتانا الخبر وعرفناه منه، والرسول-صلى الله عليه وسلم-ما وصف لنا أكثر من أن الله له يدان، ما عندي مصدر صحيح للمعلومة.

وهكذا سنضع عنده قاعدة مهمة، هذه القاعدة المفترض من البداية أن نتناقش معه فيها **أننا لا نعرف ربنا إلا من كتاب الله ما نعرف الأخبار إلا من كتاب الله**، وهذا كما اتفقنا سيضطرنا إلى الكلام عن رسول الله-صلى الله وعليه وسلم-وسيضطرنا إلى الكلام عن الملائكة، وسيضطرنا إلى الكلام عن جبريل، هذا كلام بسيط جدًا أن الله حتى يعرّفنا بنفسه أرسل لنا رسولًا وهذا الرسول بشر مثلنا لكنه مُيّز بأن الوحي نزل عليه-بكلام سهل-ما معنى الوحي؟ معناه أن الله كلم جبريل، وجبريل نقل كلام الله للرسول-صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}**[1]، **{بَشَرٌ مِثْلُكُمْ}**: هذا معنى عبده **{يُوحَى إِلَيَّ}**: هذا معنى رسوله.

لذلك ستتداخل المفاهيم بعضها مع بعض، **كل حقائق الإيمان بالغيب تكون بعضها مع بعض**، لكن نحن لن نعطيه محاضرة! كلمة في سن خمس سنوات وكلمة بعدها في سن سبع سنوات وثلاث أربع كلمات في سن عشر سنوات، سيبدأ يلاحظ خصوصًا مع الدراسة في المدارس ومع قراءته لكتاب الله أو سماعه لكتاب الله سيبدأ يلاحظ هذه الكلمات التي نقولها يعني **الإيمان بالغيب ليس مجرد تلقين إنما هو مناقشة**، لابدّ من أن نعرف أنه حتى أدخل له الإيمان بالغيب لن ألقنه حقائق فقط، إنما سأناقشه فيها حتى يتعلم كيف يفكّر في هذا الغيب.

4. لو سأل الطفل: عن صفة الكلام لله؟[2]

ممكن أن يسأل الطفل: هل ربنا يتكلم؟ ويكلّم من؟ الجواب: نعم، ربنا يتكلم والقرآن كلامه، لكن يكلم من؟ نقول كلّم الله آدم وكلّم موسى وكلّم الملائكة وكلّم جبريل بالقرآن، فجبريل أوصل القرآن إلى الرسول-صلى الله عليه وسلم-، ثم يأتي يقول: هل أستطيع أن أكلم ربنا؟ الجواب: نعم، تستطيع في الصلاة، في التسبيح، في المناجاة، كلما كبر قلنا: ناجِ

(1) [سورة الكهف: 110]

(2) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح لمعة الاعتقاد: "الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف. قال الله تعالى: {وكلم الله موسى تكليمًا}. {منهم من كلم الله}. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي". أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم. وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. وهو كلام حقيقي يليق بالله، يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة والدليل على أنه بصوت قوله تعالى: {وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًا}. والنداء والمناجاة لا تكون بصوت. وروي عن عبدالله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان". علقه البخاري بصيغة التمريض، قال في الفتح: وأخرجه المصنف في الأدب المفرد وأحمد، وأبو يعلى في مسنديهما وذكر له طريقين آخرين. وكلام الله تعالى قديم النوع، حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع أن الله لم يزل، ولا يزال متكلمًا ليس الكلام حادثًا منه بعد أن لم يكن. ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.

ربنا، كلم ربنا، ادعُ ربنا، اسأل ربنا. يعني هو عندما يعرف أن الدعاء كلام يكلم الله به، ستتغير نظرته للدعاء يعرف أن الفاتحة كلام من العبد للرب والرب يجيب عنه ستتغير نظرته.

حين يسأل: هل أنا أقدر أكلم ربنا؟! نقول نعم قُلْ الله أكبر وادخل الصلاة وقُلْ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وربنا يجيبك، قل {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ربنا يجيبك، لكن يجب أن يكون قلبك حاضرًا. يعني هذه المعلومات واضحة جدًا، لكن تحتاج إلى مناقشة جيدة مع الطفل، أهم شيء أن نحترمه ونعتبره إنسانًا أمامنا ونكرر عليه الكلمات ونستفيد من الفرص ونعيد عليه وسيتبين له.

وفي كل هذا الكلام نحن نعبد الله بعبادة الاستعانة لأن التوفيق في الموقف ما وراءه أننا نتعلم أو أحد يناقشنا في المسألة، التوفيق في الموقف يكون على حسب ذلك وانكسارنا لرب العالمين والطلب منه-سبحانه وتعالى-أن يحصل هذا التوفيق.

سنتفق أيضًا أننا لن نبدأه بأشياء يصعب عليه إدراكها، نتكلم الآن فقط عن سؤاله حول ذات الله وحول صفات الله، ننتهي من هذا ثم ننتقل إلى الكلام عن الملائكة والكتب.

من أسئلته أيضًا عن ذات الله وعن صفات الله، نحن اتفقنا أنه يسأل عن سمع الله وبصر الله، ويسأل أيضًا عن يد الله، يسأل عن كلام الله، يسأل عن وجود الله معه.

5.سؤال الطفل عن معية الله تعالى:[1]

قد يسأل الطفل عن معية الله، كيف الله معنا؟ كيف يصلي الناس هنا وهناك والله معهم جميعًا؟! كيف يكون الله معنا؟ هذه المسألة سهلة جدًا لو استطعنا أن نتصوّر أصلها، النبي-صلى الله عليه وسلم-ضرب مثلًا للصحابة، وبيّن لهم كيف تكون رؤية الله-عزّ وجلّ-يوم القيامة، فقال لهم لما رأوا البدر: يوم القيامة سترون ربكم كما ترون البدر لا تضامون في رؤيته. يعني لا ينضم بعضكم إلى بعض في الرؤيا إنما كلكم في الموقف وترون ربكم-سبحانه وتعالى-. بهذا الفهم نفسه

(1) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية: "المعية المعية لغة: المقارنة والمصاحبة. ودليل ثبوت المعية لله قوله تعالى: {وهو معكم أينما كنتم}. وتنقسم إلى قسمين: عامة وخاصة: فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق كقوله تعالى: {وهو معكم أينما كنتم}. ومقتضى المعية هنا الإحاطة بالخلق علمًا وقدرة وسلطانًا وتدبيرًا. والخاصة هي التي تختص بالرسل وأتباعهم كقوله تعالى: {لا تحزن إن الله معنا} وقوله {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}. وهذه المعية تقتضي مع الإحاطة النصر والتأييد. والجمع بين المعية والعلو من وجهين: أولًا: أنه لا منافاة بينهما في الواقع فقد يجتمعان في شيء واحد ولذلك تقول: مازلنا نسير والقمر معنا مع أنه في السماء. ثانيًا: أنه لو فرض أن بينهما منافاة في حق المخلوق لم يلزم أن يكون بينهما منافاة في حق الخالق لأنه ليس كمثله شيء وهو بكل شيء محيط. ولا يصح تفسير معية الله بكونه معنا بذاته في المكان: أولًا: لأنه مستحيل على الله حيث ينافي علوه وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها. ثانيًا: أنه خلاف ما فسرها به السلف. ثالثًا: أنه يلزم على هذا التفسير لوازم باطلة. معنى كون الله في السماء: معناه على السماء أي فوقها ففي بمعنى على كما جاءت بهذا المعنى في قوله تعالى: {قل سيروا في الأرض} أي عليها ويجوز أن تكون في للظرفية والسماء على هذا بمعنى العلو فيكون المعنى أن الله في العلو وقد جاءت السماء بمعنى العلو في قوله تعالى: {أنزل من السماء ماءً} ولا يصح أن تكون في للظرفية إذا كان المراد بالسماء الأجرام المحسوسة لأن ذلك يوهم أن السماء تحيط بالله وهذا معنى باطل لأن الله أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته".

سنبيّن له كيف أن الله مع الناس كلهم وهو في السماء، سيتصور هو المفترض القمر، نحن لن نتكلم عن معية مثل المعية إنما حتى نفهم كيف أن الله مع الناس كلهم وهو في العلو، القمر في السماء معي أنا أو معك وحدك؟ أو مع من؟ سيقول لك: هو مع كل الناس الموجودين، إذًا، إذا كان القمر في السماء مع كل الموجودين، افهم كيف أن الله في السماء-سبحانه وتعالى-مع كل الخلق.

إذًا، هنا ليس مشابهة بين الله تعالى والقمر لكن هنا الكلام حول المعية مثلما قال النبي-صلى الله عليه وسلم-كيف أنتم ترون القمر لا تضامون في رؤيته، سترون ربكم لا تضامون في رؤيته، كيف ترون القمر كأنه معكم كلكم! هكذا يكون الله مع الخلق كلهم. هذا تقريب حتى يتصور المسألة، مثلما نقول: سرنا والقمر معنا، يعني هل هو ملاصق فينا؟ لا، فوق، لكنه مع الناس كلهم، فهكذا يفهم أن ربنا-سبحانه وتعالى-في العلو وهو-سبحانه وتعالى-معهم كلهم. هذا الكلام يُقال للطفل بعد الثامنة أو التاسعة من عمره، **ففي التاسعة** يقال له إن الله-عزّ وجلّ-في العلو وهو مع ذلك معنا، **أقل من التاسعة** نقول: ربنا في السماء ومعنا أيضًا معنا-سبحانه وتعالى-يسمعنا ويرانا نكرر عليه ذلك، عندما يكبر قليلًا نبين له أنك تدرك أن هذه الأشياء ممكن أن تكون في العلو وتكون معنا في الوقت نفسه مثل القمر في العلو ومعنا في نفس الوقت، هذا شيء ليس صعبًا أن تدركه، ومن ثم، الله العظيم في سمائه ومع خلقه، ليس من الصعب أن نفهم مثل هذا.

وضرب هذه الأمثلة هذه يحتاج إلى تقدم في العمر، أي ليس نفس الكلام يقال للصغير والكبير، ولا ضرب الأمثلة؛ لأن الصغير عندما تضربين له مثالًا لا يفكر في الحقيقة، يفكر فقط في المثال، يتوقف على المثال. **فالصغير لا يضرب له مثال**، نكلمه كلامًا عامًا أن الله في السماء وهو معنا جميعًا، ثم عندما يكبر حتى يقوى عقله يعرف الفرق بين المثل وبين الحقيقة، فنقول له: هذا المثال عندما يستوعب الفرق بين المثل والحقيقة نضرب له الأمثال، قدر المستطاع. طفل دون السنوات السبع ما تضرب له الأمثال **إنما توضح له الحقائق بألفاظ مختصرة**، سبع سنوات وما فوق إن كان فطنًا ممكن أن نقرب له المعنى بالأمثال، دون السنوات الثماني أو السبع وما دون هؤلاء يقفون عند المثل فتختلط الحقيقة والمثل عندهم، فوق الثمانية هو ممكن أن يقول لك مثلًا، يبدأ يستوعب الفرق بين المثل وبين الحقيقة، إذًا، نكلمهم كلهم عن الغيب، لكن ليس بلغة واحدة، الصغير تعطينه خانة يفتح خانة في عقله وكلما كبُر تمتلئ هذه الخانة عنده، يعني يفتح خانة أن الله يرانا، يفتح خانة أن الله يسمعنا، يفتح خانة أن الله معنا. يفتح خانة أن الله له يدان، يفتح خانة أن الله قريب، ثم كلما زاد امتلأ عقله بالمعلومات، ليس كل شيء نعطيه في هذا الوقت! يجب أن تكوني حكيمة، ثم انظر حالهم فهناك صغار جدًا لكن الله أعطاهم فطنة، وربما وُجدوا في مجتمع أيضًا احترمهم وكلّمهم فزادت فطنتهم، فتأتي مثلًا طفلة عمرها سنتان يُقال لها: انظري إلى القمر في السماء، تقفز تقفز ماذا تريد؟ تريد أن تنزله! تتصور أنه ممكن أن يكون تحت يدها، تكبر قليلًا

ترى أن هذا القمر لا يمكن أن تصل إليه، يعني هي في البداية كانت تتصور مادامت أنها تراه إذًا تستطيع أن تلمسه، ثم بدأت تشعر بمعنى المسافات، يعني في البداية ما يشعرون بمعنى المسافات ثم يكبرون ويشعرون بذلك المعنى.

نحن لو أتت طفلة عمرها ست سنوات تقول لنا: كم الساعة؟ مثلًا، يحصل شيء من التعجب، لماذا؟ لأنهم غالبًا لا يقدرون الأوقات! لا يعرفون من الأوقات إلا أمرين الليل والنهار، لكن اليوم مع كثرة استعمال الوقت والساعة، تبدأ تصبح عندهم مؤشرات، يعني مثلًا هؤلاء نومهم الساعة السابعة بعد كل وقت قصير يأتي يسأل أمه يقول لها: كم الساعة؟ خائفين من أن تجيء الساعة السابعة؛ لأن السابعة هذه علامة القصاص عندهم، فمعنى ذلك أن الوقت صار له قيمة عندهم، يعني يعرف السابعة صباحًا والسابعة مساءً.

اليوم الاستخدام اللفظي صار مختلفًا عن السابق، صار عندنا وعي أكثر للزمن، وعي أكثر للمسافات، وعي أكثر للحقوق، هذا كله يساعدنا على إكمال رسالتنا في إيصال الغيب إليهم.

سنكتفي عند الكلام عن سؤال الأبناء عن الغيب في ذات الله، ربما أحيانا يسأل عن ذات الله، مثلًا يقول لنا عن اللون يسأل عن اللون **فحينما يأتي يسأل عن أشياء ليس لها أصول وليست أمورًا واردة في الكتاب والسنَّة، نقول له: لم يخبرنا الله عنها، لم يخبرنا عنها رسول الله–صلى الله عليه وسلم–**، هذا لا نفكر فيه لأننا لا يوجد عندنا خبر عنه، هذا ليس عندنا خبر فيه، **لا نمنعه بل نفهمه** أنه ما أتانا خبر، فمن ثم لا نناقشه أو نتكلم فيه، ما نتكلم في هذا لأن ربنا لم يخبرنا. ليس معنى إجابة الطفل عن أسئلة الغيب أن أخترع له أو أتعالم، ولا آتي في مواقف وأنهره! إنما سأكرر عليه قواعد حتى يعرف كيف يفكر، أنتم تصوروا كيف ندربه على أن يأكل بنفسه ويشرب بنفسه ويغير ملابسه بنفسه كيف ندربه، وقت طويل إلى أن يتدرب، ونحن ندربه أيضًا في هذه المسألة كيف يفكر بالغيب، فيحتاج إلى تكرار ووضع حدود، يعني مثلًا تأتي في يوم من الأيام تقول الطفلة لأمها: أنا لا أريد أن ألبس "المريول" حين أذهب إلى المدرسة، أريد أن ألبس فستانًا أو "بجامة" أو مثلًا تخترع اختراعات، أريد أن أضع كذا أو كذا على وجهي! ماذا ستقول لها الأم؟ لا، هذا ما يصلح هنا ما يصلح كذا وما يصلح كذا. فدورنا في التربية أن نضع حدودًا، هنا يصح كذا وهنا يصح كذا. مثلا، أول ما يأكل ينثر طعامه نقبل منه ذلك وهو عمره سنة ونصف لكن سنتان ونصف لا نقبل تمامًا، ثم ثلاث سنوات يبدأ يصير أمره مضبوطًا، وهكذا مثلما ندربه على تصرفاته الحسية نحن ندربه على التفكير السليم، كما ندربه على هذا ندربه على ذلك.

فمثلا عند تعليم الطفل **مفاهيم الغيب من سورة الإخلاص،** سنستعمل الآن اسم الله الأحد الذي في سورة الإخلاص، وسيفهم كلّما تقدم في العمر، ففي سن ثماني سنوات وما فوق أن الله أحد، أي لا أحد يشاركه في شيء، فنحن لم نره وليس كمثله شيء، والرسول–صلى الله عليه وسلم–ما وصف لنا إلا هذه الأوصاف، فنحن سنقبل ما وصف

الله؛ لا يمكنك أن تتخيل صفاته لا يمكن لماذا؟ سنعيد عليه لأن الانسان لا يستطيع أن يتخيل الصفات إلا إذا رأى الشيء أو رأى مثيله أو جاءه خبر، فلما يجيئه خبر إذا لم تأتِهِ تفاصيل فلن يتخيل أي شيء إلا إذا رآه أو رأى مثيله.

إذًا، معنى ذلك أنه عندما يكبر هذا الصغير، كلما تقدم في العمر زادت المعلومات التي سنقولها، لكن في الطريق نفسه لا نغير الطريق الذي سنتكلم فيه، لكن سنزيد الكلمات المنصوص عليها في القرآن.أي: قلنا (ليس كمثله شيء) ثم استعملنا أنّ اسمه (الأحد).

6.أسئلة الطفل في أفعال الله تعالى:

لو سأل أسئلة تعتبر شاذة، شاذة يعني لا جواب عليها، لا يوجد في الكتاب والسنَّة الكلام عنها، من أين أتى بها؟ أتى بها من تفكيره، فالجواب: ربنا ما أخبرنا عن هذا الشيء، مثلًا لو جاء يقول لنا: ماذا يأكل ربنا؟! الآن نأتي لهذه الأفعال، هنا ستقولين إن **الله صمد**[1] إنه-سبحانه وتعالى-صمد، وهذا الكلام الآن في أفعال الله.

انتهينا من الكلام حول ذات الله-سبحانه وتعالى-، نتكلم هنا عن الأفعال، يأتي يسأل عن مثل هذا السؤال! ماذا يأكل ربنا! على أنه يتصور أن الله تعالى-عزّ وجلّ-يأكل، فنقول له من معنى اسم الصمد أنه-سبحانه وتعالى-لا يحتاج إلى شيء، صمد، -سبحانه وتعالى-لا يأكل ولا يشرب، إنما يأكل ويشرب المحتاج، لكن هو-سبحانه وتعالى-لا يأكل ولا يشرب، يعني أتانا الخبر، لابد أن نعرف الشيء الذي أتانا الخبر عنه والشيء الذي ما أتانا الخبر عنه. فالصمد **من معانيها** أنه-سبحانه وتعالى-لا يأكل ولا يشرب، فمثل هذا السؤال يأتي هذا الجواب: إنه صمد-سبحانه وتعالى-.

أيضًا نأتي إلى شيء من أفعاله فحين يرى أشياءً في الدنيا ونحن نقول له: ربنا الذي **يقسّم الأرزاق** ربنا الذي يعطي الناس، فتأتيه أحيانًا أحكام ويأتيه تفكير على حكمة الله: **لماذا يوجد فقراء ويوجد أغنياء؟** وهم صغار يكونون رقيقي القلب وترق قلوبهم للمحتاجين وهم يرون أنفسهم مستغنين وهؤلاء محتاجين فكأنه يخاطبك في مسألة الحكمة، هذا يحتاج أن نتكلم بحكمة؛ لأن غالب حالات الشك تأتي من هنا، تأتي من الكلام حول حكمة الله.

نقول كلامًا باختصار، وهذا يحتاج منا نحن أن نتوسع فيه، الدنيا والذي فيها كله لا يساوي شيئًا عند الله، هذا أول مفهوم يجب أن يكون عندنا نحن، لا نقوله للطفل إنما نفهم هذه المسألة نحن أولًا، كل الدنيا وما فيها لا يساوي شيئًا عند

(1) قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: "وقوله:(اللَّهُ الصَّمَدُ) يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له الصمد، واختلف أهل التأويل في معنى الصمد، فقال بعضهم: هو الذي ليس بأجوف، ولا يأكل ولا يشرب..." و قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له، بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير "الصمد": وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا، عز وجل، وهو الذي يُصمَد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك أيضًا".

الله ولو كانت تساوي شيئًا ما سقى منها الكافر شربة ماء، لو كانت تساوي جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء، أبدًا ليس عطاء الدنيا دلالة على رضى ولا منع الدنيا دلالة على السخط. هذا متأكدون منه؛ ولذلك في سورة الفجر {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} الله يردُّ عليهم {كَلَّا} لا هذا دلالة الإكرام ولا هذا دلالة الإنعام، فهذا المفهوم نفسه لابد من دخوله إلى نفس المتربي فيرى أنه ليس دليلًا على أن الرب راضٍ عن الناس المنعم عليهم، وليس دليلًا على أنه ساخط على الناس عندما يمنعهم. هذا فقط ورقة اختباره أنه ليس عنده، وذاك ورقة اختباره أنه عنده، فهذا له أسئلة وذاك له أسئلة، هذا عنده إجابة وهذا عنده إجابة.

فلا بدّ هنا من أن يدخل **مفهوم البلاء**، البلاء هذه الكلمة يُستعمل مكانها الاختبار، نحن موجودون هنا للاختبار الذي أعطاه ربنا، ورقة اختباره: العطاء، والجواب: الشكر. كلّما أعطى شكر، ولا يبطر على نعمة الله بل يستعملها فيما يرضي الله، ولا يضيعها. فلا يفعل ما يفعل، هذا اختباره وجوابه الشكر، لا يبطر ولا يستعملها في معصية الله، وهذا الذي ما أعطاه، هذه ورقة اختباره، وجوابه: الصبر يثبت وينتظر وربنا سيعطيه، وهذا إن شكر وهذا إن صبر عُوّض في الدنيا قبل أن يُعوَّض في الآخرة، عُوِّض في الدنيا بماذا؟ بأنه يعطيه، يملأه رضا ويملأه انشراح صدر سواء عنده أم ليس لديه.

إذًا، معنى ذلك أني نحتاج إلى أن ندخل **ثلاثة عوامل في الكلام هنا عن الحكمة**:

1. **نقول له**: ربنا حكيم ، ربنا رحيم ، ربنا قريب.

ويرى ناسًا عندهم وناسًا ما عندهم، سنقول له: إن الله–عزّ وجلّ–يختبر الخلق، الذين أعطاهم اختبرهم بالعطية والذين منعهم اختبرهم بالمنع. هذا العامل، الأول ثم يأتي العامل الثاني.

2. **أن من أُعطي عليه وظيفة، ووظيفته الشكر، ومن لم يعط عليه وظيفة هي الصبر**:

وظيفة صعبة يحتاجها كل وقت، فلا يبطر ولا يستعملها في معصية الله؛ لأنه لو كان هو ممن وسّع الله عليه فسيفهم أن هناك مسؤولية عظيمة، وعند الثاني هناك مسؤولية وهي الصبر والرضا عن الله والرضا بما قسم الله ولا يؤمن بغيره ولا يفعل، ستدخل قيم في أثناء هذه المناقشة ثم يأتي العامل الثالث.

3. **ربنا يعوّض على الناس، هو يعطيهم**:

ليس شرطًا أن يعطيهم مالًا بل يعطيهم إيمانًا ويعطيهم رضا ويعطيهم انشراح صدر، هل تظن أن كل هؤلاء الأغنياء مرتاحون؟! لا، فممكن أن يُبتلوا بأمراض، وممكن أن يصير بينهم قطيعة رحم، وممكن أن يصير بينهم طمع، ممكن ألّا ينامو

خوفًا على أموالهم، وممكن وممكن...وممكن هذا الفقير ليس عنده شيء لكنه مرتاح وقلبه مطمئن! فلابدّ أن يدخل هذا المفهوم كمفهوم حقيقي، هنا لا تصلح كلمة مختصرة مثل الكلام الأول، لا! في ذات الله نقول كلمة ونرددها، أما في مثل هذه المسائل مسائل تحتاج إلى مفهوم، (مفهوم) أي أن هناك عوامل تفصيلية وأن الدنيا اختبار ونتكلم عن الاختبار ونتناقش فيه، ثم هناك عامل آخر إنه هنا النجاح: الشكر وهناك النجاح: الصبر. ثم يوجد عامل آخر أنه ليس دليل الرضا العطية ولا دليل السخط المنع، وممكن أن يعوض عليهم بأشياء كثيرة أنت ما تدركها. وممكن أن يكون في انشراح صدر وراحة بال ما أحد يعرفها، الدنيا كلها مطامع.

هو الآن يريد أن يلعب ويأكل ويشرب ويشعر بأن هذه هي الدنيا، هذا الكلام سينفعه في يوم من الأيام وينفعه قريبًا. لأن أول ما تدخل المفاهيم هذا الشيء لابد أن نفهمه جميعًا أول ما تدخل الكلمات المتضمنة مفاهيم يجلب إليها الإنسان ما يشبهها، يعني نحن نمشي في الحياة، مثلًا، ما نعرف أن الله حليم، نفترض أننا لا نعرف أن الله حليم ثم ربنا رزقك وتعلمت أنه حليم ثم نخرج بعد الدرس وعيننا بدأت ترى حلم الله لم تكن تراه سابقًا! لماذا؟! هو موجود من زمان لماذا رأيته بعدما تعلمت؟ لأن هذه هي الطبيعة الإنسانية، لو كانت واعية تتفكر، عندما يصلها رأس المفهوم تجد له ما يشبهه.

فنحن الآن نعلمه مفهومًا له عناصر: الدنيا ابتلاء، الدنيا اختبار، هؤلاء اختبارهم كذا وهؤلاء اختبارهم كذا، وهذا يجب أن يفعل كذا ويجب أن يفعل كذا، وليس دليل الرضا أن يفعل كذا وكذا والعوض في الدنيا قبل الآخرة. هذه مجموعة مفاهيم ثم هو يراها ويلمسها فيقتنع بها، فإن كان ممن ضيق عليه في الدنيا فسيرضى ويسلم، وإن كان ممن وسع عليه صار يخاف من البطر، صار يعرف أن وظيفته الشكر، ويعرف أن هناك وظيفة يجب أن يقوم بها وسيبحث عن هذه الوظيفة.إذًا، هنا نجد أن المسألة ليست مثل الأولى! في الأول كنا نقول ألفاظًا نستعملها من النصوص ونبني عليها قاعدة: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** هنا عندما نتكلم عن أفعال الله تحتاج المسألة إلى مجموعة مفاهيم.

نضرب مثالًا آخر تابعًا لهذا المثال، الطفل **يشتكي أنه خائف، وأريد أحدًا معي** وما أقدر أنام وحدي، تقومين أنت تكلمينه أن الله معك، هذه الكلمة التي من المفترض أن تكون في وجدانه وهي أن الله معك، فحينما يكون الكلام عن المعية في مثل هذا الموقف مجرد كلمة لا يأتي بنتيجة، ولابد من أن تتحول الكلمة إلى مفهوم له عناصر متعددة، يعني حتى أصل إلى كلمة (الله معك) تسد مخاوفه تحتاج مني أنا أن أكلمه عن مجموعة عناصر تكون المفهوم:

1. لابد أن أعرفه بمعنى أن الله صمد، هذا المعنى الأول يعني أنه–سبحانه وتعالى–له كمال الصفات وأنه–سبحانه وتعالى–القوي العزيز إلى أن أصل أن الخلق كلهم عندما يحتاجون ما لهم إلا رب العالمين، كل الخلق عندما يحتاجون يفزعون

إلى رب العالمين، يعني مفزعنا جميعًا في أقل الحاجات وفي أعظم الحاجات، وهو من معاني اسم الصمد أنه السميع القريب المجيب الملك الغني المدبر، كل معانيه تجعلك إذا احتجت صمدت إليه ولجأت إليه وكان ركنك الشديد وما خفت أبدًا.

2. ينتج عن ذلك أنني أنا وأنت كلانا في أمس الحاجة إلى ربنا، فلست أنا التي سأسدّ عنك هذه الحاجة! إذا خفت لا يستطيع أحد حفظك، ولا دفع الخوف عنك إلا الله، حتى أنا نفسي ممكن أن يقع عليّ الخوف، فأنا وأنت نلجأ إليه.

3. الصلة مع الصمد كيف تكون؟ الله صمد، حتى تتصل به ماذا تفعل؟ اصمد إليه، ماذا أفعل؟ أول ما تخاف بسرعة ناجِه، طبعًا هذه كلمة المناجاة الكلمة التي نستعملها بعضنا مع بعض لكن أنت ستقولين له كلمه بقلبك واطلبه بقلبك اسأله بقلبك، وكن متأكدًا من أنه قريب يسمعك وأنه سيدفع عنك الشر.

4 . يأتينا مفهوم رابع هنا وهو الشيطان. الذي ممكن أن تبدأ به من سن ثلاث سنوات. الذي يؤذيك ويحاول أن يمنعك أو يحاول أن يخيفك، من يحميك من الشيطان الرجيم؟ ما يحميك إلا الله الذي تصمد إليه، إذًا معنى ذلك في كل الأوقات أنا سأكرر أن الله الصمد الذي نصمد إليه، لماذا نصمد إليه وحده؟ لأنه هو العظيم، هو القريب هو الملك هو المدبّر.

دائمًا، نكثر من الثناء على الله، نثني على الله حتى يمتلئ معنى اسم الصمد في قلب هذا الصغير، ثم إذا كلمناه عن أن الله صمد فلابد من أن يفهم أننا نحن وهو نصمد إلى الله، بل كل الناس يصمدون إلى الله، وإذا جاءت أي ريح أو أي عاصفة أو أي مخوّف ما أحد يستطيع أن ينفع أحدًا، ما ينفعنا إلا الله.

➢ أسئلة تتعلق ببقيّة الأركان:

نأتي الآن إلى أسئلة تتصل ببقية الأركان:

- **سنبدأ بالكلام عن النبي–صلى الله عليه وسلم–:**

كنا اتفقنا أثناء النقاش في أن الكلام عن الله من المؤكد أنه سيدخل معه الكلام عن النبي–صلى الله عليه وسلم–؛ لأننا أول ما سنجيب عن أسئلة الطفل عن الله بعد تعريفه عن الله لابد أن نقول له من أين عرفنا هذه المعلومات؟! من الرسول

–صلى الله عليه وسلم–، ولابد أن نقول له إن ربنا كلم جبريل، وجبريل نزل بهذا القرآن على قلب النبي–صلى الله عليه وسلم–، إذًا، هذه المعلومة من أوائل المعلومات التي يجب أن يتعرف عليها الطفل حتى يعرف أنك لا تخترعين، عندك مصدر لذلك، فهذا معناه أنه سيعرضك للكلام عن الرسول–صلى الله عليه وسلم–. كيف سننتقل في الكلام عن الرسول

-صلى الله عليه وسلم-؟ من خلال التأكيد على الصغير أن الذي نقوله عن رب العالمين إنما عرفناه من الوحي، الوحي معناه أنك تتكلمين عن جبريل-عليه السلام-وتتكلمين عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-. هناك قد ترد بعض المشاكل هنا ونحن نتكلم عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-، مثل ماذا؟

مع الثناء على الرسول-صلى الله عليه وسلم-وهو مستحق-صلى الله عليه وسلم-للثناء، يختلط على الطفل صفات الرسول-صلى الله عليه وسلم-مع صفات الله، يعني يظن في لحظات من كثرة ما نتكلم عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-يظن أن الرسول يستطيع إنزال المطر ويستطيع إغاثة المحتاج مثلما يفعل الله! فلابد أن ننتبه إلى هذا الفاصل بأن نقول له: إن الرسول عبد، ورسول له مكانه ونحن نتبعه ونحبه ونحب أن نجتمع معه، هذا الكلام الذي نقوله ونحن نلاحظ أننا دائمًا نقول: الله العظيم أرسله وهو رسول لله، ليست أفعاله مثل أفعال الله، ضروري أن نؤكد له هذا المعنى، أن أفعال الرسول-صلى الله عليه وسلم-ليست مثل أفعال الله إنما تميز بأن الله أوحى إليه ونكرر عليه هذه المسألة.

من الأشياء التي تحصل للطفل بعد أن يتعلق بالنبي-صلى الله عليه وسلم-ونحن نكلمه عن المتابعة ولم نكن قد بدأنا بقولنا: الله أرسل رسوله وأنه عبد **وأنه قد مات**، يعني هذه المعلومة من البداية ونستمر في الكلام عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، ثم بعد ست أو ثمانية شهور وهو يقول لنا الرسول ونحن نقول له: الرسول ونفعل مثل فعله، لابد من أن نقول له إنه مات، سيتفاجأ وهو أصبح عنده أمل أنه يرى الرسول-صلى الله عليه وسلم؛ لذلك من المعلومات الأولية عن الرسول أننا نقول له إنه عبد وإن أفعاله ليست مثل أفعال الله وإن الله أرسله وإنه يفعل ما أمره الله وإنه-صلى الله عليه وسلم-أفضل البشر وإنه مات، كل هذه المعلومات جملة واحدة وتتكرر، من أجل أن يضع الرسول-صلى الله عليه وسلم-في مكانه الصحيح، ليس بعد ما يتعلق بشخصية الرسول-صلى الله عليه وسلم-نقول له إن الرسول-صلى الله عليه وسلم-مات! هناك مشكلة في الموت! هو من البداية يعرف أنه كان في ذلك العصر وأنه-صلى الله عليه وسلم-كان له أصحاب، **المهم في هذا الموقف أن نفرق بين أفعال الرسول-صلى الله عليه وسلم-وبين أفعال الله**، نحرص على تفهيم الطفل أن الرسول عبد لكن الله-عزّ وجلّ-أعطاه الرسالة ولما أعطاه الرسالة أعطاه صفات معينة لكنه لا يفعل مثل ما يفعل الله، يعني نحن نبدأه بهذا الكلام لأن الطفل عندما نرفع له منزلة الرسول-صلى الله عليه وسلم-هو لا يتصور أن رفعته لا تصل إلى منزلة الله، لابد من بيان هذا.

- **القرآن:**

الأمر الثاني المهم في الكلام عن النبي-صلى الله عليه وسلم-بعد هذه المعلومات أنه عبد لله وأن أفعاله ليست مثل أفعال الله وأنه مات-صلى الله عليه وسلم-وأنه ترك وراءه كل الأعمال التي توصلنا إلى الله. فتأتي المعلومة الثانية أن الكتاب

الذي أُنزل عليه قد حُفظ وحُفظت أفعاله، يعني الرسول-صلى الله عليه وسلم-مات من زمان فكيف نعرف الذي أخبر به الرسول؟ الرسول نزل عليه كتاب من الله وهو محفوظ وهو القرآن، والنبي-صلى الله عليه وسلم-له أفعال وحُفظت هذه الأفعال ووصلتنا، يعني هو الآن عندما يكون مات الرسول-صلى الله عليه وسلم-نحن ماذا نتبع؟ ماذا سنفعل؟ تأتي وتفهمينه أن النبي-صلى الله عليه وسلم-مات بشخصه لكن الدين بقي وحفظه الله، **ضروري أن نؤكد عليه أنّ القرآن محفوظ؛ لأن غالب التشكيك يأتي من التشكيك في حفظ القرآن أو التشكيك في حفظ السنَّة.**

فأنت لو بينت له هذا في هذه المرحلة الأولى من الحياة فسيبقى هذا الأمر ثابتًا لا شك فيه، يجادل من يجادل...يتكلم من يتكلم، هو بالنسبة إليه هذه المسألة بعيدة عن الجدال.

إذًا، من المفاهيم المهمة التي تبين للطفل أن الله حفظ هذا الدين، وأن الرسول-صلى الله عليه وسلم-الذي أتى بالدين ونزل عليه الوحي وكرمه الله بذلك بقي وراءه الكتاب، وبقي وراءه سنة الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

ولذلك من الصواب أن نقتني كتب السنَّة، من الصواب **وهذه بالتجربة أن الطفل في عمر ست سنوات وسبع سنوات وما فوق يطلع على صحيح البخاري،** ما يعرف يقرأ، لم نأت به حتى نختبره في القراءة لكن فقط حتى يراه. ولذا هنا تنبيه مهم جدًا جدًا للمعلمات وللأمهات أن الأطفال يدخلون مدارس التعليم العام سواء في رياض أطفال أم في ابتدائي وحقيبتهم مليئة بالكتب، فعندهم كتاب المطالعة وعندهم كتاب الرياضيات وعندهم علوم وعندهم القرآن، كلها بعضها مع بعض، تدخل المعلمة أو المعلم عليهم. أخرجوا الرياضيات يخرجونها والحصة التي بعدها أخرجوا القرآن يخرجون. هذا التصرف الذي يكون مع الأطفال سواء في حقيبتهم أو في حصصهم قد يظن الصغار أن القرآن مثل غيره من الكتب! فإذا نحن ما أنقذنا الموقف فسينطبع عندهم أن القرآن كتاب مثل بقية الكتب، إذا ما أخرجت القرآن من بين هذا كله بالتعظيم، فيقال لهم مثلًا: انتبهوا لا تضع المصحف إلا في الصباح عندما تضع حقيبتك على ظهرك، وعندما تذهب إلى المدرسة يجب أن تخرج المصحف من الحقيبة وتضعها فوق، إذا لم تستطع فضع حقيبتك على كرسيك، حافظ على المصحف، حافظ على القرآن! عندما نأتي ندرس أول شيء القرآن. يقول لك غدًا ما عندي، لن يسمع لي أحد، قولي: أول شيء القرآن، عندما نخرج القرآن ونأخذ المصحف ونضعه في مكان مخصص له ليس مع بقية كتبه، ثم لو خط عليه أو شقه هنا سيكون مواقف مختلفة عن بقية الكتب، فلا بد من أن يعرف أنه ليس كتابًا مثل بقية الكتب! وهذا الذي جعل القرآن ليس له قيمة عندهم! مادام أنهم يتعلمون ويقرؤون هنا وهناك لا شيء في ذلك، هو مثل بعضه ولذلك ممكن أحد يأتي من الأطفال من رياض الأطفال يقول: مَن كتب القرآن؟ الرسول؟! ممكن لدرجة أن يقول: من ألّف القرآن! يقولها، لماذا لا يقولها؟! لأنه يراه كتابًا مثل بقية الكتب، فهذا الذي يحصل من التعامل مع القرآن، التعامل الشكلي، يسبب وجود

فراغ لمكانة القرآن أصبح فارغ المكان، فهذا التعامل الشكلي سيكون في ميزان الأمهات والآباء وميزان المعلمين، معلمة الصف أول ما يدخل الطلاب أيًّا كانت معلمة أي شيء يدخل الطلاب، عليهم حصة القرآن اليوم، قولي لهم: أول شيء قبل ما تضعون حقائبكم في الأرض أخرجوا المصحف وضعوه فوق الرفَ ثم بقية حقيبتكم، لا مانع ضعوها على الكرسي، المهم المصحف.

وهكذا، سنتعامل مع كتب الدين، هكذا سنتعامل مع كتاب التوحيد، كتاب الفقه، كلّما تقدم في العمر. إذًا، لابد أن يعلم أن هذا كتاب غير الكتب الأُخرى؛ ولذا يستحسن أن طفلًا في عمر ثماني أو تسع سنوات يرى فيلمًا وثائقيًا مثلًا عن كيف يطبع القرآن في مطبعة الملك فهد مثلًا، وكيف الذي يخط القرآن، يخطه أول مرة ويكتبه كله بلا نقاط ثم يعرضه على مجموعة من العلماء والقراء المتقنين، ثم يضع عليه نقاطًا ثم يعرضه مرة أخرى كل القرآن يفعل به هكذا، ثم يضع عليه التشكيل ثم يضع عليه المواقف ثم يجتمعون ويتأكدون من أنه ما فيه خطأ، ثم يطبعونه للمسلمين. لابد من أن يشعر بأن هذا الكتاب ليس كبقية الكتب، فهذا الشعور يجعله يُعظّمه لكن كتابًا من ضمن المناهج الدراسية ما ترونه يعظّمه مثل القرآن.

نحن أيضًا سنضيف إضافة أنه سيأتي يرى في مكتبتنا الخاصة–حتى لو كانت مكتبتنا البيتية لا يوجد فيها أي شيء– على الأقل المصحف ويرى كتاب التفسير ويرى صحيح البخاري على أقل التقدير، ويعرف أن هنا المصادر ويعرف أن هذه الكتب لها منزلة عند المسلمين؛ من أجل أن لا تدور الأيام ويأتي أحد يشككه في كتاب الله وما عنده ثروة من مشاعر التعظيم حُبست عن القرآن وعن السنَّة! لا أحد عظمه لديه! فيأتي أي أحد من طرف اللسان يشكك في الكتاب والسنَّة سيستقبل التشكيك، لماذا؟! لأنه ليس لديه رصيد شعور لتعظيم الكتاب والسنَّة! فأي أحد ممكن أن يثيره خصوصًا مع زحمة التعليم ومع إهمالنا لتدريس القرآن ومع إحساسنا أنه إذا ما كان اليوم فغدًا يتعلمون! ونحن نعلم أنه إذا ما أحسنت للطفل بتعليمه القرآن في بداية حياته فسيصعب تعويد لسانه بعد ذلك، هذا من جهة، ومن جهة نفتقد بركة القرآن، القرآن يسبب البركة في الأعمار المادية التي خطفت الناس، جعلتهم يرون أن الكلام عن البركة هذا شيء ثانوي أو شيء ما يتكلم عنه إلا الناس الذين مازالوا على الخرافة! أهل الإيمان يعلمون أن الله وصف القرآن بأنه مبارك، ولا أحد يحمل القرآن إلّا يكون مباركًا.

فالمفترض حتى لو ما استطعنا أن نحمله على حفظه أو نحمله على قراءته يوميًا، على الأقل يصير عنده رصيد شعوري بأن هذا القرآن، هذا الكتاب عظيم مختلف عن بقية الكتب. وأضيفي إليه سنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–واجعليه يثق أن الله حفظ الكتاب والسنَّة. يأتي يسألك مثلًا عن القرآن: من كتبه؟ سنقول له: هذا كلام الله، وتكلم به الله، وسمعه جبريل،

وجبريل نزل به على الرسول-صلى الله عليه وسلم-، ثم بعض أصحاب الرسول-صلى الله عليه وسلم-كتبوه. ويمكن هنا الاستفادة-كما اتفقنا-من القصص.

الرسول-صلى الله عليه وسلم-مات والكتاب الذي أنزل إليه محفوظ، بمعنى أدى الأمانة ثم حفظ من بعده. وهنا يمكن أن نحكي بسهولة قصة كتابة القرآن عن طريق الكلام عن كتابة الوحي، يعني بقصة عن طريق كُتّاب الوحي. ولذلك الذي يجد في نفسه نفسًا في الكتابة فعليه كتابة قصص للأطفال فيأخذ هذه المفاهيم ويكتبها، يبدأ مثلًا بزيد رضي الله عنه يكتب عن قصته وكيف أنه كان طفلًا صغيرًا وكيف كان في المدينة وكيف أتى النبي وأسلم وكان يحب أن يخرج إلى الجهاد، ثم ظهرت قوته في القراءة والكتابة وانتفع به النبي-صلى الله عليه وسلم-في أن يكتب الوحي، قصة لطيفة تصلح للصغار لو كتبت بأسلوب جيّد. تصلح للصغار ومن ثم وهو صغير يسمع ويعرف أن كُتاب الوحي هؤلاء مُيزوا وجُمع القرآن بكذا وكذا، فلا يأتي بعد ذلك ويقول لك من ألف القرآن؟ وهو عندما يأتي ويسألك هذا السؤال قولي يجب أن أقص عليك قصة كتابة الوحي، قصة كتابة القرآن وأنه كذا، وكان هذا صغيرًا ثم كبر، ثم تعلم وحصل...إلى آخره. هذا الكلام عن الكتاب.

- **الملائكة:**

نأتي الآن إلى الكلام عن الملائكة، الكلام عن الملائكة سيدخل في حياة الطفل من جهات متعددة، يدخل هنا عندما نتكلم عن الوحي وعن جبريل-ويمدح جبريل عليه السلام-هذا الرسول الملكي وأنه لابد من محبته، نحبه لماذا؟ لأن الله -عزّ وجلّ-جعل حبه من الدين، حب جبريل من الدين. واليهود ما موقفهم من جبريل عليه السلام؟ الكراهية والعداوة وأهل الإيمان موقفهم من جبريل-عليه السلام-المحبة، وهذه المسألة يحتاجها الكبار قبل الصغار، أن نعرف وأن نعبد الله بحب الملائكة، كلّما كبر الصغير فسوف يعرف عن الملائكة جملة مختصرة، أنهم عباد لله، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم. هذه الجملة المختصرة، ثم نبدأ بتكوين العلاقة بينهم وبين الملائكة، ومن العلاقة التي تكون بينه وبين الملائكة ما هو مذكور في أول سورة غافر، في كون الملائكة تحب المؤمنين وتدعو ربنا للمؤمنين وتحب أن يدخلوا جنات النعيم، وتدعو لهم كذا وكذا كما في أول غافر.

فمعناها أن الملائكة حملة العرش كما في غافر لهم علاقة بمن؟ بالمؤمنين، كلما كان وعي الطفل أكثر كَلّميه عن هذه العلاقة بما هو موجود في القرآن، وعندما يكبر تصفينهم أكثر...إن الملائكة لهم أجنحة وكذا وكذا، هو يقول لك أجنحة وتاج مثل فلم كرتون؟ تقولين ماذا؟ إننا لا نستطيع أن نصفهم إلا أن النبي-صلى الله عليه وسلم-وصف لنا أن جبريل-عليه السلام-جناحه يسد الأفق، ما معنى (يسد الأفق)؟ أي ما ترى شيئًا، كبير وعظيم، ليس مثل هذا الذي يصفونه لك!

ثم نحن ما رأيناهم، كيف نكتب عنهم أو يرسمونهم أو يتكلمون عن شيء ما رأوه ولا رأيناه! فلابد أن تنقضي عليه ما رأى، أن الذي رآه ليس هو، وأن هؤلاء كاذبون وأنه لا يحق لهم ذلك لأننا نحن ما رأيناه إنما هذا الكلام من بنات أفكارهم!

فهذا النقض في سن مبكرة ينفع الطفل، يعني حتى لو رآه، عندما تنقضين هذا ينفع الطفل في أنه لا يستقر في ذهنه إلا الصورة التي ذُكرت في النصوص.

هو على كل حال، يبقى الكلام دائرًا حول أنك يجب أن تتعلمي حتى تعرفي كيف تسهلي عليه الكلام.

كيف أستخدم القصة القرآنية مع أسئلة الطفل:

نبدأ مثلًا بقصة **نوح–عليه السلام–**:

نوح–عليه السلام–كما في سورة هود في الموقف الرهيب لما ارتفعت الأمواج عالية وقال لابنه: اركب معنا، ماذا قال عقله؟ {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ}[1] كان الجواب: {قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}.

هذا الجزء من القصة يحتاج إلى أن يكرر على الطفل، خصوصًا أنه كثيرًا ما يقول: أنا خائف وأنا خائف، نقول له ما في أحد نفع أحدًا مالنا إلا الله، نصمد إلى الله، أنا وأنت ضعفاء، والله هو القوي، أنا وأنت نطلب الله، ما في شيء يحمينا إلا الله، فلابدّ من إشعار الطفل أن كل شيء يحتمي به غير الله لا ينفعه.

وهذا الجزء من قصة نوح–عليه السلام–مع ابنه واضح جدًا، يعلّمه كيف يفكّر؛ لأن ابنه كيف فكّر؟ الآن السفينة تضرب بها الأمواج وجبل كبير وعالٍ، العقل المجرد الذي لا يؤمن بالغيب ماذا يقول؟ يقول: الجبل، ما يقول السفينة. والذي آمن بالغيب ماذا يقول؟ يقول السفينة إذا أمرنا الله أن نركب فيها، والجبل لا يفعل شيئًا. وهذا الذي كان، أهل السفينة نجوا وهو الذي صعد الجبل واستخدم عقله في المحسوس غرق، هذا لطفل عمره ثماني سنوات أو تسع يصبح **مثل القاعدة**، ليس المحسوس الذي تدركه بعقلك هو الحقيقة! إنما الحقيقة التي تأتي من عند الله. فالآن يخوفونه، يخوفونه بهذا، وهو يعرف أنه لو فزع إلى الله وصمد إلى الله–عزّ وجلّ–فسينجيه.

بناء على ماذا يعرف هذه المعرفة؟ بناء على أننا ناقشناه وكلمناه وقصصنا عليه، وجاء يقول لك: أنا حصل لي كذا وما حصل؟ نقول: ثق بالله! الله يختبر ثقتك! لستَ أنت تجرب ربنا! كلّما كبر الطفل قلنا له: يجب ألّا تدخل على الموضوع وأنت متأكد وأنت متيقن ولا أنك تجرب رب العالمين! ثق به.

---

(1) [سورة هود: 43]

وهذه الكلمات ما تأخذ كل أبعادها في الطفولة، لكن ماذا سيحصل؟ كلما كبر فهم، فليس المقصود بها أن كل هذا يجب أن يستوعبه مرة واحدة. إنما تعطيه كلمات محبوسة ثم كلما زاد عمرًا زاد تجربة هذه الكلمات، ماذا يحصل لها؟ تتفكك وكأنها تعطيه تصورًا.

أنت الآن تعلمينه كيف يُفكّر، هذه كأنها فقط مجرد قواعد ومسلك، وغدًا سيستعمل هذا الأمر بالطريقة الصحيحة، اليوم أنت تعطينه أداة الأكل في يده وهي ثقيلة عليه وتعلمينه وربما لا يكون ماهرًا، لكن عندما يتقدم في العمر سيكون ماهرًا، سنتصور القضية نفسها بالنسبة للتفكير، هو صغير ما يكون ماهرًا وعندما يكبر يصبح ماهرًا.

مثلًا في قصة **إبراهيم–عليه السلام–**:

لما ألقي في النار، ثم قال الله للنار: كوني بردًا وسلامًا، ماذا يفهم؟ يفهم أن الله–عزّ وجلّ–عندما يكون مع أحد كل شيء يتغير، لكن أهم شيء كن واثقًا في الله، والله يعطيك.

هذا كله بيان مثلًا لمعنى اسم الصمد، وبيان لطريقة التعامل مع الله، لا تخف ربنا معك...لا تخف ربنا معك، يعني لابدّ من أن نترك أن نقول له: لا تخف أنا معك! هذه لابدّ من أن ننتهي من الكلام فيها.

وحتى يبنى الغيب في قلبه نقول له طوال الوقت: لا تخف ربنا معك، ربنا الذي نجى إبراهيم، وربنا الذي نجى نوحًا وربنا نجى كل الأنبياء، معنا ينجينا ويحفظنا لا تخف، يقول حصل لي كذا؟ قولي: لا عليك، كل الذي يحصل يُجبر كل هذه الأشياء تُجبر إلى خير، حتى لو كان فيه نقص. كل هذا إلى خير، ربنا يوصلك إلى الخير.

وصايا أخيرة عند الإجابة عن سؤال الطفل:

الأمر الأول: لابد أن نفهم سبب سؤال الطفل.

يعني أحيانًا يكون سبب سؤاله غير معروف فيخرج عن سؤاله، فلا نخرج بجوابنا إلى مكان آخر! يعني مثلًا، يسأل عن القبر، يحفظ النازعات ويسمع (فأقبره)، فيقول ما هو القبر؟ فنحن نقول له: يحصل فيه عذاب!! لا، هو يريد أن يعرف فقط ما هو القبر، لا ندخل في كل التفاصيل! نفهم بالضبط ماذا يريد.

الأمر الثاني: لابد أن نحدد مشكلة الطفل من السؤال.

يعني أحيانًا يسأل عن الموت، ما سبب سؤاله عن الموت؟ سببه مثلًا أنه سمع هذه الكلمة أو أنه خائف! يعني مثلًا خائف من الموت، فيسأل يقول لنا: لماذا ربنا يميتنا؟ الآن ليس هو الوقت الذي نقول له: حتى نتحاسب حتى...لا لا قول

له إن الموت هو خروج من الدنيا إلى مكان ستكون فيه في نعيم لو أحسنت، ونحن نفهم أنه في القبور هناك أشخاص في نعيم عظيم، بل إن من النعيم لأهل النعيم في القبر لو جُمع نعيم أهل الدنيا كلهم ما يساوي شيئًا، وهم في نعيمهم وهم المقبورون. فنحن الآن نحتاج إلى الأمرين السابقين: نفهم سؤال الطفل، والأمر الثاني: نحدد المشكلة التي من أجلها سأل الطفل، نفهم سؤال الطفل، لا نعطيه أكبر من المعنى لا نخرج إلى التفاصيل. هو يقول لنا لماذا ربنا يميتنا؟ لأنه هو يتخيل الموت هذا شيئًا فظيعًا، لكن نتذكر حديث النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ))[1] فأنت بينك وبين الذي تحبه فقط هذا الموت هذه القنطرة بسيطة وتمر فيها وتلقى من تحبه وتكون في أحسن حال.

فنحن يجب أن نفهم أنه لا يسأل معترضا على القبر إنما لأنه خائف من الموت فيجب أن نجيبه بالطريقة التي تبعد عنه الخوف وتزيده طمأنينة، أن الموت هذا شيء سينقلك إلى ما تحب، لكن أهم شيء أحسن حتى ينقلك إلى ما تحب ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ)).

الأمر الثالث: نبحث بجدّ عن المادة العلمية

التي سنجيب منها عن السؤال (**بجد**)، لا نتكلم على الله بلا علم! المطلوب منا أن نبحث بجد، وكلما كنا صادقين فإن الله-عزّ وجلّ-يعيننا ويرزقنا من حيث لا نحتسب. فالعلم رزق، إذا صدقنا في إرادة وجه الله فإنه يرزقنا إياه، مثلًا نفتح إذاعة القرآن فنجد إجابة عن سؤالنا، وقد نمر على أحد مرور الكرام فنجد من يجيبنا، بل أحيانًا نسمع آية كأننا نسمعها أول مرة فتكون جوابًا عن السؤال.

الأمر الرابع: نكرر بعض الجمل المهمة أثناء الإجابة.

الأمر الخامس: نستدل على كلامنا بالنصوص.

هذا ضروري وليس شرطًا أن نكون نحفظ النصوص، فليس هناك مانع من فتح المصحف، نفتح المصحف، ونفتح كتاب الفتاوى...نفتح ما أردنا أن نفتح ونقرأ له، لا ضير في ذلك، يجب أن يعرف أن هناك **مصدرًا**، لست أنت بنك المعلومات بل هناك مصدر.

الأمر السادس: نشارك الطفل في الاستماع لبعض ما توصلنا إليه من كلام أهل العلم.

---

(1) متفق عليه.

ندعه يستمع، نشاركه في الاستماع إذا كان لا يستطيع أن يقرأ، أما إن كان يستطيع أن يقرأ فندعه يقرأ معنا، يقرأ تفسير الآية، يقرأ فتاوى أهل العلم، مثل فتاوى اللجنة الدائمة أو فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، فيها جزء عن أسماء الله وصفاته وعن الملائكة مفصلة، فنحن ممكن أن نبحث فيها ونقرأ له ويقرأ معنا إن كان يعرف يقرأ، وإن كان لا يعرف القراءة فالمواد الصوتية ممتلئة، نسمع ونتأكد من أن هنا موضع الجواب، وندعه يسمع، وهكذا سيتعلم من أين يأتي بالإجابات.

الأمر السابع: نستغل مواقف الحياة لتقرير الإجابة.

نحن الآن أجبناه ومرت علينا مواقف، نستفيد من المواقف التي تمرّ علينا حتى نؤكّد عليه الإجابة.

الأمر الثامن: نعوده على أن يسأل الله الهداية

يعني يسألنا لا مانع! لكن يجب أن يتعود أنه عندما يريد أن يسأل يكون سائلًا الله الهداية، حتى يبقى هذا طريقه دائمًا، ليس فقط يلقي علينا الأسئلة وانتهينا! لا، بل يُقال له: اسأل الله أن يهديك وأن يدلك على الجواب، وهذا يتضمن أنه لا مانع أن نأتي في أوقات فنقول له: لا أعلم سأسأل ما في مانع أبدًا، يعني نحن نجيبه على أسئلته المتصلة بالغيب، لكن ما في مانع أن نقول له أنا لا أعلم سأسأل لاحقًا.

هذا ما تيسَّر ذكره، والحمد لله رب العالمين